

تضخم

عما ذا تكتب يا «عربي» !!
كسر أقلامك يا كاتب !!
جهد خيالك يا قصاص !!
حجر إحساسك يا شاعر !!

لا تكتب عن الخيال .. لا تسبح في الفضاء .. لا تغص في الأعماق فلم يعد لك مجال .. ولم يبق لك ميدان .. لقد دهمك الواقع المر .. الواقع الذي فضح أهلك ، وكشف عوارهم .. الواقع الأبعد من الخيال ، والافصح من القائلة .. والانكى جرحا من الرديني المسموم .. وأين أنت من عهد الردينيات بعد أن احتوشتك الانشطارية والفسفورية والعنقودية .. أسماء جهنمية وآلات دمار كنت أنت فيها حقل التجربة ، وكنت مؤشر الدمار والخراب المستهدف للبرياء والضحايا .. وهل أنت هنا من محصور بيروت ، وجائع لبنان .. لا تكن ميت لإحساس الى هذه الدرجة .. المحصور يمثل شرف الثبات والنضال ، ولكن الخارج عن الحصار هو الانكى هو واحد وعشرون بيدقا في قيمة القشة ، وضعف الفسيلة .. لا .. لا .. هو أكثر من هذه وتلك لان القشة تبني

العش ، ولان الفسيلة تصبح الجدع .. فماذا أنت - اذن - انك ما زلت تبحث
عن ببادق أخرى .. ما زلت تغوص في مهمه المحنة والمهزلة .. ما زلت تمنع
في التنصل من مسؤولية أنت الاساس فيها .. تسلط الاضواء لتفضح غيرك
بينما أنت مدسوس في الظلام لتخفى ما أنت ومن أنت !!

ومرة أخرى تواجهك المأساة التي لم يسكن لها ألم ، ولم تخمد لها حركة ..
وأنت تصيح .. انسوا الهوامش والدواخل وواجهوا العدو المشترك !! هراء
سمعناه ومجناه .. وشعارات ضررها ملموس ونفعها ميؤوس .. ومع ذلك
ما زلنا نتنادى لتدابير وما زلنا نتعاقب لنتباعد ..

ثقوا - يا عرب - ألا إسرائيل ولا أمريكا بدوننا نحن ، ولا بقادرين على ما
فعلوا وما سيفعلون لو كان لكم - آه - عزم وصدق .. لو كنتم غير ما أنتم ..
لو حرمتهم على أنفسهم بلايين الكلمات والشعارات اللامسؤولة ، والاصادقة ،
واكتفيتم فقط بالمقولة القرآنية : « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما
بأنفسهم » والمقولة النبوية التي جاء فيها : « .. دعوت الله الا يسلط على أمتي
عدوا من سوى أنفسها .. » .

أنتم العدو - اذن - أنتم غناء السبيل والزبد الجفاء . ومع ذلك ما زلتهم
تقولون وتقولون .. وما زالوا هم يفعلون ويفعلون ..

« قصص »

تغوص المدينة

أخذ السماعه بين يديه ، كان صوته حزين النبرات ... من فضلك ..
آه سيادتكم ؟ مرحبا مرحبا . متى ستأتون ؟ بعد أسبوع ؟ لا بأس وانما
سيطول انتظارنا .. الحالة ! محيرة حقا .. انها تغوص .. تغوص كل يوم
أكثر . حسنا سنكون في انتظاركم ..

يترك السماعه ، ينظر الى يده اليسرى .. الساعة الحادية عشرة ، لم
تأته أخبار اليوم بعد ، لقد نقلت الادارة الى خيمة بعيدة عن المدينة حتى يزول
الخطر ويمكن الاتصال بالخارج بسرعة .

عند كثنان الرمل تنام المدينة ، أشجار النخيل تظللها وزهور برية تملأ
ساحاتها بألوان قزحية . أما السماء فيجرها النوى لا ينضب . قد لا يملك
أطفالها لعب تفرز الذكاء ، وقد لا يعرفون الرجل «البروبو» وانما دائما
يلعبون .. الخرق تصبح كرة ملونة يتقاذفونها ، وقطع الخشب الضائعة
تصبح بين أيديهم ألعابا جميلة ومغرية ، سعف النخيل يصنع المنازل التي
يختبئون فيها والشمس النور الذي لا ينقطع .

يرن الجرس ، يرفع السماعه الى أذنه في شيء من القلق ، ما هي الاخبار ؟
بأتيه الصوت من بعيد : لقد قاموا بتثبيت الجدران بالحجر والاسمنت .

هل هناك نتيجة ؟ لا نستطيع الجواب الآن . يجب أن نترقب .

الانتظار ، وهذه الجدران التي ستنهار . وتلك المنازل الظليلة ستنهار
أيضا ، والصور ستنهار كذلك ، غير ممكن . هل يمكن أن تضمحل تلك
المدرسة ؟ الايام كانت تتوالى رتيبة هناك ، ولكن حالما تركها أصبح يحن اليها
يحن الى رائحة الحبر في المحبرة ، والى المكاتب الخشبية الصغيرة التي تحدث
صريرا كلما جلس اليها ليدرس . تنهار كذلك الشجرة الوحيدة التي تتوسط

ساحتها • كانت شجرة توت لها جذع عظيم • وكان يحلوه النظر الى جروحها
الكثيرة والبحث عن تنسيق صورها المختلفة •

فى ذلك ، يوم كان السكان يتجاذبون الصحف اليومية ، ليطلعوا على أخبار
مدينتهم لانهم اعتادوا قراءة الجرائد فى الصباح والنظر الى التلفزة فى المساء ،
لم تكن العناوين مزعجة بل كانت لا تنبئ الا عن الخير «المدينة صامدة الجدران»
ان المدينة صامدة الجدران ، وقد تمكنت البلدية من تثبيت الجدران بالحجر
والاسمنت • الا ان الساحة الشرقية حيث يقع دكان جزر الاحباب ، ودكان
حلاق الشباب ، ومقهى الزيتون ، قد أخذت تغوص قليلا ، فقررت البلدية غلق
هذه المحلات الثلاثة لتجنب الخطر ورعاية المواطنين •

وقد اتصل مراسل الجريدة بالحلاق الذى غلق دكانه وكتب اليه يقول :
«فى الساحة الشرقية ، تشير الساعة الى الرابعة بعد الزوال ، بعض الطيور
تحلق فى الجو ، أما الدكاكين فمغلقة والمقهى مغلق أيضا ، وقد اتصلنا بسى
عبد المجيد صاحب دكان «حلاق الشباب» المعروف ، وهو رجل فى العقد الثانى
من العمر ، جميل الملبس ، طويل القامة ، أسمر البشرة ، له شاربان أسودان
وعينان سوداوان ، وأحربنا معه الحديث التالى ؟

– هل غلق دكانك ؟

يجيب السيد عبد المجيد :

– أجل لقد طلبت منى البلدية والله يبارك فى رئيسها ، أن أترك الدكان
حتى أتجنب الخطر الذى يهدق بالساحة .

– وفيما يتمثل هذا الخطر ؟

– لقد أخبرنى رئيس البلدية أن الخطر متمثل فى امكانية غوص هذه
الساحة وذلك لانجرف الارض

– والآن ما هى مشاريعك ؟

- سأقوم بجولة في الاقطار التي تحيط بنا ، وسوف أقوم بتربص في فن الحلاقة .

- ما هي أمنيتك ؟

- أمنيتي أن تواصل البلدية أعمالها المباركة ، وتبعد عنا الخطر .

كان هذا الاستجواب الاول ، وغدا سنوافيكم باستجواب الجزار وبعد غد سنوافيكم باستجواب صاحب مقهى الزيتونة .

الايام تتمطط والمدينة تغوص في الارض يوما بعد يوم يتنقل الصحفيون من حي الى حي يتنسمون الاخبار ينظرون الى الجدران الفارقة في التراب ، والى المواطنين الهلعين .

أما الصحف فأصبحت تباع بأرقام يصعب عدّها وازداد سحبها أكثر فأكثر وازداد ربح أصحابها أكثر فأكثر .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

الايام تتمطط والمدينة تغوص وسط الرمل والتراب والخبراء لم يحلوا بعد قيل انهم سيأتون بعد يومين . عمال البلدية والمتطوعون من العاطلين يتجولون في المدينة وسط شاحنات ملئت حجرا واسمنتا ، يشبتون الجدران ولكن بدون جدوى .

عنوان بالاحرف البارزة ، يتصدر الجريدة : متى سيأتي الخبراء ؟ متى تتخلص المدينة من ترابها الذي يجرفها ؟

ويقول الجزار في استجواب صحفى :

المشكلة الآن ، هي تربية الماشية . لقد قل العشب ، واختلط الرمل والتراب واحترنا في العثور على العشب والبرسيم يجب مراعاة الاغنام كمرعاة الاهالى ان الحالة لا تنبئ بالخير ! اننا لمطوقون !

يرن الجرس ، يرفع السماعه فى شىء من القلق وينصت : نعم ، كيف «ز»
أما زالت تغرق فى التراب ؟ سيحل الخبراء بعد قليل حاولوا أن تثبتوا الجدران
أكثر فأكثر ، يجب أن تثبتوا الجدران مهما كانت التكاليف : يجب أن تقوموا
بأعمالكم على أحسن وجه . أو نسيتم المنح ، انها منح عظيمة . حسنا سأتى
مع الخبراء بعد قليل .

الساعة تشير الى العاشرة ، المطار يعج بالمستقبلين ، المسؤولون والعاطلون
وجميع الاهالى يتربعون ، فرق نحاسية تعزف على الآلات ، الراقصون وبعض
الاطفال يرقصون رقصة الانتظار .

كان اليوم جميلا ، وقد رفرفت الاعلام النظيفة فى السماء ، وانطلقت زغاريد
النساء .

نحل الطائرة فى أزيز محركات ويتناثر الدخان والغبار فى أرض المطار .
يعزف الموسيقيون أغنية وطنية وتشرئب الاعناق وتصوب النظرات بينما
ينطلق بعض المسؤولين نحو قاعة الاستقبال ، ترتجف القلوب خارج قاعة
الاستقبال ، ينصتون وقد نسوا للحظة الباب المكثف بالجلد . نسوا للحظة أنهم
سوف لن يسمعوا .

يتساءل الحلاق : ربما احتاجوا الى حلق ذقونهم ، ربما احتاجوا الى حلق
شعورهم الحمد لله أنى محتفظ بكل ما يلزم : الصابون ، العطر ، الفرشاة
الكثيفة ، الشنبوان .

ولكن قد لا يحبون هذه الانواع التى استعملها حلق شعور الاهالى ؟
آه ما أغبانى ليتنى أتيت بأشياء من هذا القبيل ! ليتنى جلبتها من الخارج !

يفتح الباب ، يخرج المسؤولون والخبراء وتعزف الفرقة النحاسية أعذب
الاناشيد ويخرج الجماعة حيث السيارات الرابضة .

الاستقبال كان عظيما فى المطار وخارجه وعلى الطريق الرئيسية كانت
الاهالى مصطفة ، تصفق بالأيدي ، تزغرد النساء ، والفرحة تظهر عارمة .

تصل السيارات الى أبواب المدينة .. أين المدينة ؟ يتردد السائق الاول ،
 بترقب الثانى والثالث يطول به الانتظار . تقترب شاحنة من السيارة الاولى .
 ينزل ليتحاور مع سائق السيارة وينزل الركاب فجأة فتفتح أبواب السيارات
 وينزل جميع الركاب ، بينما نسمع من بعيد موسيقى نحاسية أخذ رنينها
 يقترب ويظهر بعض الاهالى يسرعون الخطى نحو المدينة ، الخبراء واقفون ،
 ملابسهم بيضاء وأحذيتهم بيضاء ، كأنهم الملائكة ، كل شىء فيهم يرفرف ،
 الحرير يرفرف ، رائحة عطورهم ترفرف ، شعرهم الذهبى يرفرف !

يقول المهندس : لم نستطع تثبيتها أكثر ، لقد اندثرت كلها ، لقد فات
 الاوان .

يبتعد الخبراء قليلا ، ويشاهددهم القوم وهم يتحاورون فى لغة يجهلونها
 يظهر عليهم التأثير . لقد فات الاوان .

تحل الفرقة النحاسية برنينها الزاهى وتتبعها النساء تزغردن . يقف
 المسؤول أمامهم فيسكت الطبول . تسكت النساء كذلك ، ويعم المكان سكوت
 تقطعه محاوراة الخبراء بلغة غريبة .

الساعة الثانية عشر . الشمس تكسو المكان وتضىء التراب فتلمع الحصة
 وقطع البلور المتناثرة . ريح صحراوية تلمح الوجوه البيضاء منها والسمراء ،
 ينحنى أحد الخبراء يتحسس التراب ثم يأخذ كيسا من البلاستيك ويملؤه ترابا
 ويحكم غلقه ثم تتقدم الجماعة الى السيارة محييين السكان المجتمعين هناك
 فى صمت حزين .

تتابع انسيارات قاصدة المطار .

يتفرق القوم متجهين الى الامام وكأنهم يبحثون عن ديارهم التى اندثرت
 بعد عناء طويل فى القلوب يؤلمها ، والغبار أمام الاعين يذهلها ، والشمس
 راسية على الرؤوس تطرقها .

كانت هناك مدينة تنام عند كئبان الرمل أشجار النخيل تظللها وزهور
 برية تملأ ساحاتها بألوان قزحية .. تلك هى الاغنية التى ستردها الفرقة
 النحاسية التى كانت صامته .

نافلة ذهب

قصة قصيرة للكاتب البسكى : داميرو بينللا
ترجمة : أبو بكر العيادى

نحن جماعى

منذ أيام والقرية فى انتظارهم..ظهروا على الطريق فى تشكيلة مرصوفة.. يتقدمون كآلات تعب ، شاخصين .. بدت ثيابهم المتنافرة متشابهاة تحت ضباب اكتوبر .. كانوا يطوون المسافات مرحلة مرحلة سائرين على طريق حزينة تحف بها أشجار الصنوبر وسيقان الذرة ، ولا يطعمون الا حين تلتحق بهم « الشاحنة الكانتين » وعندما ينامون يتكدسون كالقطعان . فيتراعى فوق رؤوسهم سكون سميك فحتى حراسهم تعودوا أن يصدروا اليهم الاوامر بالإشارة .

كانت الانهج فارغة حين استقبلتهم القرية وهى ترقبهم من خلف زجاج النوافذ الموصدة . فقد وقع ادخال الاطفال تحسبا . كانوا يخترقون القرية فى هدير أرجل مبتلة كثيف ، متلاصقى الاكتاف ، منهرسين تحت طواقى مخضلة . حاول الاهالى ان يروا وجوههم ليميزوا من الجمع واحدا ولكن اللحي التى كانت تكسوهم جعلتهم جميعا متشابهين . عندما ازدادوا اقترابا ادرك الاهالى ألا قرون لديهم بحثوا عنها بهمة فى الاصداء الهامية وهم يرددون فى قرارة أنفسهم أن ذلك ليس ممكنا . ولكنهم غابوا عن لوحة الزجاج قبل التثبيت . ولم يكن ذلك كافيا لمحو الاعتقاد . لم تنم القرية تلك الليلة الاولى ، وهى تعلم أنهم حطوا الرحال بقربها . أنزلوا بأنقاض ضيعة كبرى رمت موازييها بقنب .. فتحوا علبا بها أخطبوط للعشاء وأوقدوا النار ليتدفؤوا . وكلما جفت الاغطية تغطوا وناموا على الارض ومن النوافذ الاكثر قربا أشيع أنهم يمشون فوق اللهب عراة .

نزل المطر طوال الليل . ومن الغد حاولت القرية أن تتفرغ لمشاغلها العادية. هذا التجمع الضائع فى أغوار مهاوى « نافارى » لا يعلم من الاخبار المباشرة عن الحرب سوى أنها انتزعت الرجال . فالاحداث الخارجية تصله عبر رواية السلطات السياسية والدينية . كانت القرية مقتنعة أنها تشهد استئناف القتال بين الملائكة . فى عز الصباح تمزق ستار الضباب لتنساب أشعة شمس

متكسرة . ترك البعض فرقة العمل فى الانهـج بحثا عن خـمرة أو قهوة ساخنة . واستمرت القرية فى الانسحاب أمامهم . لم يدن منهم أى ساكن أكثر من خمسين مترا . وانغلقت أبواب الخـمارات فى وجـوهم . لقد تعودوا احتمال كل شىء فانصرفوا للتجول على قارعة الطريق برباطة جأش، وانقسموا الى مجموعات صغيرة كالاطفال الصغار دون أن ينتظروا أى شىء . لم يجروا أى طفل على وضع رجل فى الشارع فنفتوا ريح جنون فى البيوت وفى أوقات المدرسة تنتصب الامهات ليقـدنهـم من أيديهم . وفى الليالى التى تلت ، استيقظت عذارى كثيرات وهن يصرخن : أنهن اغتصبن . أما النساء فقد تذكرن بشوق رجالا تركوهن وحيدات بينما كان الشيوخ يعدون هراوات تستعمل لقتل الوحوش . وفى اليوم الرابع أيقظ وفد من سكان القرية العمدة من قيلولته ليسألوه : لم سلط عليهم هذا البلاء .

قالت السلطة مؤكدة : « لا يفعلون شيئا اذا لم نستـثـرهم » .. أراد السكان أن يعرفوا متى سيأخذونهم .. كان القائد يصدد الاتفاق على الموضع الذى سينزلون به لحفر خنادق .

وضع الشيوخ والعجائز والاطفال صليبا بارزا على ثيابهم .. كانوا يصلون بالسبحة فى حمية قبلية ويتوقف دمهـم فى سكون صلاة التبشير الجامد . وعادوا أثناء السهرات الى ذكر الحرافات الحارقة والحوادث واعتبروا العوائق اليومية لعنة أتى بها الغرباء . هؤلاء تعودوا عبور القرية أمام أبواب موصدة . كانوا يمرون فى مجموعات مأتمية ممتدة النظر نحو الافق مع بقايا يقظة كبر مهان . ورغم ذلك فالناس لا يستطيعون النظر اليهم مجابهة . وبعض النسوة يصحن بهم حين يعرفونهـن بالنظر .

ذات يوم ، ظهر أحدهم على طرف «مشرب» مقهى فبقى الحرفاء مشدوهين . لم يره أحد وهو يدخل . تلاطمت النظرات كأنما كانت تقول : إنه اخترق الجدران . فى هذه اللحظة أمكنهم تمييزه . كان شخصا عابسا ، شديد

النحول ، شاحب اللون لكثرة ما استهلك من معلبات . بدا - وهو متكى ،
بمرفقيه على الحشب - كأنه لوحة تصوير فى لعبة قلب الدمى بأحد المعارض .
ومن خلال صمت مأساوى ارتفع صوته رقيقا بلهجة اسكارية يطلب صحيفة
قهوة بالحليب . نقب صاحب المقهى فى كل مكان من محله حتى عثر على وعاء
وسقاه سائلا يظلمه البخار .

انفرج الجميع وهم يرونه ينسحب بوعائه الى أشد الزوايا عتمة . رأوه
يخرج خبز مؤونة من جيب معطفه ويفته فى السائل الحار كأنما يؤدى طقسا .
ثم يخرج ملعقة ويزدرد لقما من العجين كبيرة . كان يبتلع بصوت مسموع فى
خشوع مركز وهيئة أليفة حتى أن أحدا لم يفكر فى القرون الى أن انتهى .
تملكهم الفضول لمعرفة باى نقود سيدفع . تناول الرجل الوعاء الفارغ وأتى به
الى صاحب المحل .. ظل كالمرمر أمام الانتظار الذى احدثه فى المقهى ثم ولد
الحببة فى الوجوه حين ترك على المصرف قطعة « فرنكو » .

ومن الغد عاد مع رفاق ثلاثة . تابعت القرية المجموعة لما ولجت المقهى وهى
تعلم أن صاحب المحل لن يوصد فى وجهها الباب . لقد قال : « لو أن ثعبانا
طلب قهوة بالحليب لسقيته » . شرب الاربعة بالتناوب فى نفس الاناء لعدم
وجود إناء آخر . وفى الايام الموالية ازداد عدد المساجين الوافدين على المحل .
ولكن كل واحد منهم أتى بقدحه حتى لا ينتظر القهوة بالحليب فى طابور .
فى المقهى انتصب حاجز طبيعى : القرية الحذرة من جهة ، ومن الجهة الاخرى
الغرباء الذين اتخذوا وضعا جماعيا لا يسىء الى احد . كانوا يثيرون الرعب .
شوهوا كلهم يسددون بنقود مسيحية .

ولم تلبث بقية الحانات ودكاكين المواد الغذائية أن فتحت لهم أبوابها .
كانوا يدخلون بخطى متزنة ويطلبون بكلمات دقيقة . وكان أصحاب المحلات
يردون عليهم بكلام مقتضب . وهكذا نشأ اصطلاح أباح تواطؤا مقلقا . عندما
يتيح الخوف للقرية مهلة يحار تفكيرها .

ذات سبت ، أبلغ قائد الحراس الكاهن رغبة المساجين فى حضور قداس
الاحد الاكبر. طلب الكاهن أن يعاد على مسمعه الخبر فقد ظن أنه لم يسمع جيدا.
رد والغضب يتوثب بين حاجبيه :

- « هنا ، يجب علينا أن نترك المتهمين خارج بيوت الرب » .

فقال قائد الحراس مؤكدا :

- « إنهم مسالمون . لقد انهزموا ولا يريدون أن يخوضوا حربا أخرى » .

ألح الكاهن وهو يضغط حرف الرء :

- « هم دائما حمر » .

أجابه قائد الحراس باسم :

- « لم يعودوا يعرفون حتى من هم » .

فوافق الكاهن اتقاء القصاص . عند نهاية صلاة المساء اقترب من انقاض
الضيعة على رأس نصف القرية وحرص سكانها . ومن الغد ، استقبلهم فى
كنيسة مهياة لافتراسهم . كون المساجين مجموعة فسحة. الذقون حليقة ،
التياب خالية من التجعد . الناس أخضعوهم لحكم صامت ليتحققوا أين يخفون
الكبريت اللازم لحرق المكان المقدس . استوقفهم الكاهن عند باب المعبد . طوقهم
بنظرة دائرية ، مركزا نظره على عيونهم عسى أن يدرك قرار بشر خبثهم
وهو يقدر أن كل شئ يصير له معنى قام لو يرى قرونا . أنزلهم فى قاع
الكنيسة ، فى ناحية خط أرضيتها بالطباشير بنفسه . كان قد أدار التماثيل
حتى تنظر كلها الى الحشد ووضع فى عيونها المرمرية كل لهيب الغضب الالهى
بفضل طلاء نجار . وفى الاعالى علق قطعا من الكريب الاسود . كان قد أمر
عازف الارغن باغراق المعبد فى صخب يوم الحساب . أعاد آثار دم كل صور
المسيح المصلوب بدم أرنب غض . ورضى المساجين بهذا القهر دون ان ينبسوا
بينت شفة . ملأت القرية المعبد منبهة بانتشاء اللحظة المرضى ، مقتنعة بأنها

بصدد الوقوع فى مكيدة ، ونشأ فى الكنيسة نفس الحاجز الذى لوحظ فى الحانات .. كانت تلك أول مرة يرون فيها الغرباء بلا طواقى واقتنع أشد المتشككين أنهم لا يخفون تحتها حتى جدعات قرون . نسى الكاهن قداسه وصعد المنبر متسلحا بروح الملك القديس جبريل . وتكلم بنفس اللهجة التى كان يستعملها حين ينهزم فى لعب الورق . أخذ الارغن يجلجل منذ اللفظة الاولى . تحدث عن انقسام العالم الى أخيار وأشداد ، وعن مهمة الاخيار الالهية لتنصير الاشرار والاقتلوهم .

قال : إننا فى عز عصر الوحوش وطالب بعودة محكمة التفتيش (I) . كانت عروق رقبتة تكاد تنفجر ، لشدة صياحه مناديا بحملات صليبية كلما لزم الامر حين ارتفعت ضجة منخفضة تتهادى فى جو المعبد . كانت القرية مفتونة بصوت الكاهن وصخب الارغن وبتعنفها هى ذاتها لذلك لم تنتبه الا مؤخرا أن الغرباء يغنون فى لحن جماعى قداس « المجد للرب » . كانت الانغام فى البداية خافتة فلم يسمعها الا من كان على مقربة . ولكنها حين بلغت المنبر كونت كتلة صوتية متماسكة . وذاب الكاهن والقرية لحظات فى ذهول مكفهر . كان الكاهن أول من تحرك . ظن أن فى ذلك دليلا من أشد الادلة التى بعث بها الرب متاها ، ضغط جميعه وعاد الى الهجوم براية النور . ارتجفت القرية وقد وقعت وسط هذا الصراع .

استحوذ اللحن المنبعث من أصوات الغرباء المائة على الكنيسة شيئا فشيئا، بصورة طبيعية مسيطرا على مضاعفة الارغن العنيفة وصوت الكاهن . كانت أصواتا صافية منظمة باعادات أجريت قبل الحرب ، ترسم آفاقا رائعة . تأثرت القرية باكتشافها . كان الغرباء يغنون كأنما كانوا بمعزل عن خيبة مقاوميهم .

(I) محكمة التفتيش : محكمة دينية كانت تلاحق المتهمين فى دينهم .

وسكت الكاهن والارغن حينما ارتجت جدران الكنيسة لحظة خاتمة التناغم العظيم للاصوات المائة . بكى الرجال والنساء تحت تأثير ذعرهم الاول . أما الكاهن فقد نزل من منبره كالمسرّم (2) ؛ وعند الفجر قال القداس الذى أملاه عليه لحن الغرباء ، يصحبه عازف الارغن بنغم وديع . وقضت القرية الليلة تبحث عن موضع للالهام . ومن الغد استأذنت النساء بالانصراف وهن يقدمن للغرباء شطائر بالمقلّة وكتفيات (3) .

تعريب : أبو بكر العيادي



-
- (2) المسرّم : سائر ومتكلم فى النوم .
 (3) الكتفية : ثوب يلبسه الرهبان على الكتفين والظهر .

السجن والسجان

كان الفضاء رحبا وكانت الشمس كقطعة الجليد وكان يمشى . عيناه
شاخصتان ، لا يريد أن يلتفت الى الورا .

أعطني حريتى ...

كان السجنان واقفا كالعمود . وكانوا فى المعتقل أربعة . وكان يجر المحلق
فى بطاء وهو يصفر ممسكا بيده المرأة الصغيرة التى جاءته هدية .
- كأنك ستدخل على زوجتك هذه الليلة .

ظل يصفر وظل المحلق يمر فوق الذقن فى بطاء . وكان السجنان واقفا
كالعمود .
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

- دائما هكذا تفعلون ، تحرنون فى آخر لحظة كالأحمر التى تنتشق رائحة
البول على قارعة الطريق . وعندما تسجنون تكونون من الاوائل الذين يطلق
سراحهم .

عبد قضبان الباب الحديدية كان السجنان واقفا .

آه لو أمتلك عنقى !

- أنذال ، متواطئون ، تتحالفون حتى مع الشيطان عندما تقتضى المصلحة .

كان المحلق يمر فوق الشارب ، عبر قضبان الباب الحديدية كان السجنان
يدخن .

- أنذال ، دائما أنذال ، نحن المخطئين ، حشرونا معكم كالجرذان ، تعسف
جديد يسجل على حساب الحاكم .

وضع المحلق على الارض وظل ينظر فى المرأة الصغيرة .

ذات يوم قالت ريم السعداوى : ما فى وجهك شىء يشير إهتمام امرأة مثلى . ولكنى مع ذلك أحببتك . فعلا كانت ريم السعداوى امرأة جميلة لكنها كانت امرأة عاهرة . عرفتھا على مدارج الكلية . كانت عاهرة يركبھا المثقفون والثوريون ولكنها كانت تلقى دروسا فى السياسة أيضا . كنت أعلم انها لم تصدقنى قط . كذبة تحكيها بأحكام فى كل مرة ولكنى مع ذلك ركبت طريقھا .

عبر القضبان الحديدية كان السجنان مع رفيقه . كانوا يجلسون القرفصاء . يشربون الشاى ويدخنون .

— عالمان . كذبة تخدمون بها مصالحهم . نصف لكم ونصف لغيركم . وعلى الضعفاء السلام .

ذات يوم جلسنا معا بعد ما لهثنا طويلا وجبنا شوارع المدينة وفى النهاية تعبنا .

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

قالت :

— قصتى معك يبدو أنها ما زالت طويلة .

كنت ساكتا متعبا ، فقد أدركت أنها أصبحت مصيبتى وأن الدرب ما زال طويلا . ولا بد من شىء يمسك بى كهذه المرأة العنيفة .

كان السجنان جالسا مع رفيقه . كان يضحك ويكشف عن أسنانه المتعفنة . أخذ المنشفة ومسح وجهه .

— لم يكن لى وجه كهذا الوجه .

كان الحال يجوب شوارع المدينة بعربته وكان البغل يثن تحت الاثقال . وذات يوم مسح عرقه وقال لى :

— يا والد أختى ، يجب أن تعرف كيف تفك الحرف ، سأعلمك ، ولكنى تعبت فساعدنى على هذه العربة .

ومنذئذ أصبحت عندما أترك المدرسة أركب العربة وأجوب شوارع المدينة ، فى أول الامر كانت جولاتى عديمة الجدوى ولكن الحال فى بعض الاحيان كان يوقظ العنف فى قلبى فيعتريه غضب جنونى ويصفعنى :

– أين الفلوس يا ولد ؟

بكيت فى المرة الاولى . ولكنى بعد ذلك قلت لنفسى : (يا ولد يجب أن تصمد) وصمدت . فكان عندما يصفعنى على خدى الايمن أدير له الخد الايسر فيصفعنى أيضا وأسكت . ولكنى كنت أصب غضبى على البغل وعلى المارة أيضا . فكنت أرفع السوط عاليا وأنزله نارا على البغل فأشق شوارع المدينة فى عنف . وفى كل مرة أوقف حركة المرور وأحدث فيها خللا وأصبح يروق لى أن أرى المارة يتقافزون أمامى فى هلع وخوف .

– سأعلم الناس الخوف فى الطريق وأعلمهم العنف أيضا .

وفجأة تعلمت العنف ، فقد أصبحت أغتصب حرفائى اغتصابا . يقف الحريف أمام العربات فأقفز اليه وأركل كل من يحاول أن يسبقنى ، أركله برجلي ، أضربه بالسوط إن لزم الامر فكل الطرق مشروعة .

– تفضل يا سيدى .

ولا أناقشه الحساب ، فادعى أننى أقبل أى شىء ، وعندما أوصل البضاعة أناقش الحساب من جديد فى عنف .

– هذا دينارك ..

– لا ، اثنان .

– ماذا تقول يا ولد ؟

– واحد لى وواحد للبغل .

– لم نتفق على هذا يا ولد .

فأخذه من عنقه وأصيح فى وجهه :

– إما أن تدفع أو أقتلك .

وعندما يدفع أركب العربى وجبل من الثلج بدأ يذوب فى نفسى . وعندما أصل الى البيت أصفى الحساب مع خالى : نصف دينار للبغل ونصف لك ونصف لاقامتى وأضع النصف الآخر فى جيبى . فلقد كنت مغرما بقراءة الكتب .

منذ نهاية تعلمى الابتدائى أصبحت أجادل أساتذتى جدالا عنيفا . ألخص كتب محفوظ والسباعى وكتبا أخرى . وكلما أذكر زوج أمى وقد ركلنى ذات يوم وألقى بى فى قارعة الطريق أحس أن هذه الكتب تخدعنى .

أستلقى على الفراش متهاككا . كان الرفاق يتجادلون . وكان السجان يقهقه مع رفيقيه . ومع ذلك كان الرفاق يتجادلون ...

كانت ريم السعداوى تتحدث عن الحرية والعوالم الثلاثة فى بيت من بيوت الطلبة . وكانت من حين لآخر تدخن فتنفث دخانا . وكان الرفاق ينصتون فى عجب وكلهم ينتظرون الفرصة لكن ريم السعداوى كانت تعرف تصطاد فريستها .

قلت يجب أن أصطادها قبل فوات الاوان ، وطفقت أتكلم ، وأصبحت الجمل والشعارات كالاحصنة اللاهثة على لسانى ، ماركس ، انجلس ، لينين ، ستالين ، شى فيفار ، هوشى منه ، العوالم الثلاثة ، والامبريالية والاستعمار المباشر وغير المباشر ، والحزب الواحد ...

ثم وجهت لها السؤال أمام العموم :

– وهل تعتقدين أنك حرة عندما تفتحين فخذيك للرجال ؟

وضحك الرفاق وقلقوا ورأيت الغضب من عينيها القاحلتين ، فتداركت أمرى بسرعة وحولت المهزلة الى مأساة فتحدثت عن حرية المرأة من مجتمع متخلف والاضطهاد والاستغلال .

– كلنا مستغلون ، لا فرق بين الرجال والنساء . عدونا واحد . اقتلوا هذا العنف الذى يعيش بيننا ونشم رائحته من كل شىء .

ولكنها ارادت إهانتى . فقد نفثت دخانها وقالت :

- رجعى وجبان .. اخرج .

وعاودنى العنف ، فقامت اليها وصفعتها . وتركت الرفاق ينددون بى
وخرجت .

وفى المساء جاءتنى الى البيت . دقت الجرس . ففتحت لها الباب . نفثت
الدخان فى وجهى ثم دخلت الحجرة وطفقت تخلع ثيابها ثوبا ثوبا .

- ها أنا لك اغتصبينى .

كان الرفاق يتجادلون عن الحرية والاستغلال والاشتراكية . كانوا يقولون
أى شىء وكان متهاككا على الفراش يسمع ثم نهض .

- بربكم اتركونى ... سنتان من المعتقل ، أستمع اليكم ..
الثورة ، الثورة ، الثورة .

كان أبى الذى لم أعد قادرا على أن أذكر ملامح وجهه فلاحا . كانت أمى
عندما يغيب ذاك الفحل العرييد تجلسنى على ركبتها وتضع يديها على رأسى
وتحدثنى ، كانت تقول لى كل شىء ، كانت تعتذر عن زواجها وكانت تقول :

- أبوك رحمة الله عليه كان رجلا لا يتعب ، يستيقظ قبيل الفجر ويذهب
الى الحقل وفى المساء يعود وكان يقول لى : هذا الولد هو الذى سينسينى
تعبي .

ثم مات فجأة ، هكذا فجأة ، أخذه الموت عنفا وقهرا وهو يصارع الموت
قال : علمى هذا الولد يا خديجة وافعل بنفسك ما تشائين .

وفهمت عندئذ لماذا سلمتنى الى خالى .

فتح باب المرحاض وأخذ يبول . كان الرفاق قد دخلوا من مشادة سياسية
عنيفة .

– آه لو أمتلك عنفى لعلمتهم السياسة كيف تكون !

لقد غمرتني السياسة حتى النخاع ، أصبحت فى وقت ما أنظر الى كل شىء فى هذا العالم بمنظار السياسة . عندما أقف أمام الحضار أو أمام الجزار أتحدث عن السياسة وحتى عندما أكون فى المقهى أتحدث عن السياسة .

كنت أقف على أعلى مدارج الكلية وأخطب فيهم . أسب هذا وذاك والعن كل الاتجاهات السياسية من العالم وعندما أهبط أجدهم ينتظروننى فى مكان ما على الطريق ويأخذوننى ركلا ، كانوا يدوسوننى بأقدامهم ويحطمون رأسى بعصيتهم فأصبح كالحجر .

لقد قتل العنف قلبى ... لقد قتل العنف قلبى ...

وفى يوم ما أوقفنى الشرطى ، اتهمنى بكل الاتجاهات السياسية فى العالم .

ARCHIVE

لماذا أرد على الاتهام ؟

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

رحمك الله يا أبى ! كان المعلم يأخذنى من أذنى ويأمرنى أن أقرأ . وكان الكتاب كل شىء بالنسبة لى لكن أمرا ما من بعض الاحيان يجعلنى أحرن كالحمار الذى خلفه أبى . وذات يوم مزقت الكتاب وقذفت به فى وجه المعلم . ربت خالى على كتفى فى دقة وقال لى :

– يا ولد أختى ، أنت حر اصنع بحياتك ما تشاء .

وعدت الى المدرسة أهجم على الكتاب تارة فأحس كأن معلمى يركع أمامى وأحرن أخرى فأطرد وأجلد وأجلد .

من المعتقل صرخت فى وجوههم . قذفت العنف الذى فى صدرى ، قلت لهم :

– يا سادتى . إنى مهرج . نعم مهرج . ضحكت عليكم كثيرا . كلام على اللسان . تهريج فى السياسة والثورة ، لكنى يا سادتى لا أملك بندقية وورائى التراب وخيال الظل ولا شىء غير ذلك . فلماذا الخوف ؟

كان السجبان يضحك . أعجبته نكتة سمعها في نشرة الاخبار . وكان أحد الرفاق يقرأ قصيدة لأحمد فؤاد نجم . أغلق باب المرحاض وجلس على حافة السرير ينصت .

جلسنا ذات مساء وجها لوجه . قالت ريم السعداوى وقد تصلبت ملامحها :

- لنرفع الاقنعة ، كاذبة أنا وكاذب أنت .. لنتزوج .
- ولكنهم يطاردوننى . أرى الشرطى يقف فى آخر المعبر .
- لنتزوج الليلة وليكن ما يكون ..

وتزوجنا .

نظر الى وجهه فى المرآة . ما ترك له المعتقل شيئا .

- لو أمتلك عنفى لمزقت هذه الافواه القذرة .

وقف السجبان جادا . انفتح الباب . وحده خرج .

كان الفضاء رحبا . غمر أنفه فى الزحام .

- يا ريم السعداوى ، بعيدا عن الدجل عدت . ويا ليالى الدفء أقبل .

محمد الباردي

ثابس فى 8 - 2 - 82

الوسام

الجو غائم والبرد شديد ، والسماء تنذر بنزول المطر . وريح جنوبية غربية تصفع الوجوه وتسيل المدامع وتكاد تنفذ الى العظام . فى هذا الجو الشتوى القاسى وقف منصور ذياب أمام مكتب العمدة ووقف الى جواره بعض أهالى القرية فى انتظار مقدم الحافلة التى ستقلهم الى مركز الولاية .

كان منصور قد وصله استدعاء من الوالى لحضور الاحتفال الذى سيقام بالمدينة بوصفه أحد المناضلين الذين تقرر توسيمهم بالمناسبة . وطال الانتظار بالقوم وأضربهم البرد فعاد بعضهم الى منازلهم وأحس منصور بالتعب من كثرة الوقوف ، وانتابه اليأس من مجيء الحافلة ، وشعر بخيبة أمل كبرى فقد كتب عليه أن يحرم من حضور الاحتفال .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

وتوقفت أمام مكتب العمدة سيارة نقل بضائع صغيرة محملة بعدد من الخراف فى طريقها الى المدينة كان صاحبها فى حاجة الى العمدة فى أمر ما . وبعد أن أنهى العمدة حديثه معه رجاه أن يحمل منصور الى المدينة بعد أن شرح له الغاية من سفره فأبدى استعداداه لآخذه معه .

ومضت السيارة تسير بهم ببطء فى طريق صخرية صعبة كثيرة التعاريج والجماعة داخلها يهتزون ويتمايلون ، انها رحلة شاقة مضنية بل قل : انها رحلة عذاب . كان الجميع سكوتا وان حاول احدهم الكلام وجد نفسه مضطرا الى الصراخ حتى يمكن لجاره سماعه بسبب الضجيج المنبعث من المحرك والاصوات الصادرة عن هيكل السيارة لدى احتكاك العجلات بالصخور التى تكاد تغطى الطريق . لذلك فضل الجميع الركون الى الصمت .

وشرد بمنصور الخيال فعادت به الذاكرة الى أيام شبابه حين التحق بالجبل وانضم الى الثوار . وتذكر المعارك التى خاضها مع رفاقه والمصاعب التى تعرض

لها • وبصورة لا شعورية مد يده وتحسس ساقه الخشبية وتنهد في عمق • كانت معركة مهولة طاحنة استمرت أكثر من يوم وليلة لم يشهد جبل سيدي عيش مثيلا لها من قبل اشترك فيها أكثر من مائة مجاهد في مواجهة عدة مآت من قوات الاستعمار الفرنسي المدعمة بشتى أنواع الاسلحة • وفي اليوم الثاني لبدء المعركة أصيب منصور بشظية قذيفة في ساقه • لم يشعر بشيء فقط أحس كأنه يتبخر في الهواء وخيل اليه أنه يفارق الحياة • وأغمى عليه وحين أفاق من غيبوبته وجد نفسه في فراش وثير مريح وسط غرفة جميلة نظيفة بمنزل أحد المناضلين بمدينة من مدن الجنوب الغربي • وعلم من صاحب المنزل أنه نقل من الجبل الى المدينة بعد مرور أكثر من يومين على اصابته حيث حمل الى منزل مضيفه وأحضر له طبيب تونسي جراح بعد وصوله بوقت قصير وقد قرر قطع ساقه حين تأكد أنها أصيبت بالتعفن ، وكان ذلك آخر عهد منصور بالجبل وبصحبة السلاح • وبعد أن شفى أحضرت له ساق خشبية • وظل ينتقل من مكان الى مكان ومن منزل الى منزل مختفيا عن أنظار سلطات الامن الى ان اعلنت فرنسا اعترافها بحق الشعب التونسي في الحكم الذاتي وبالعفو عن كل المجاهدين والمناضلين والسماح لهم بالعودة الى منازلهم وذويهم •

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

وبلغت السيارة المدينة فنزل قريبا من ساحة الاحتفال ووقف يتطلع في دهشة الى الجموع الحاشدة وتقدم من أحد الشبان وسأله ان كان قد تم توسيم المناضلين أم لا ؟ فأجابه بأنه لم يحضر الا منذ قليل • وتقدم من شاب آخر وتوجه اليه بنفس السؤال فأجابه بأنه لا يعلم • فسأل ثالثا فلم يرد عليه • فانتقل الى مكان آخر وتقدم من رجل كهل وألقى اليه بالسؤال المعتاد فأجابه بالنفي • فاطمأنت نفسه قليلا ومضى يحاول جاهدا اختراق الصفوف والوصول الى المنصة لكنه لم يستطع الى ذلك سبيلا •

وجاء الوقت لتبدأ عملية التوسيم ووقف أحد المسؤولين وشرع في تلاوة أسماء المناضلين الذين سيوسمون وعاد منصور يحاول اختراق الصفوف مرة أخرى للوصول الى المنصة فكان بعضهم ينهره وبعضهم يصرخ في وجهه أو يشتمه وسمع اسمه تردده أجهزة مكبرات الصوت فكاد يجن لكنه لم يستطع أن يفعل شيئا •

وقال فى اهتياج وهو يحاول فتح طريق له وسط تلك الجموع المتراسة :

● دعونى أمر ... دعونى أمر : .. انى .

فصاح به احدهم قائلا :

● انك لجلف حقا ... تمر الى أين ؟ هل أنت أحسن من كل عباد الله هؤلاء ؟ لعلك من المدعوين للجلوس بالمنصة الشرفية ؟

فقال منصور بصوت مضطرب :

● بلى .. بلى .. دعونى اصل الى هناك .

فضحك الرجل ومن حوله وقال أحدهم ساخرا :

● كن عاقلا يا رجل ولا تخطئ فى حق نفسك واعلم ان الوصول الى هناك أمر صعب وأن مكانك هنا بيننا وليس هناك .

فقال منصور فى غضب مكبوت :

● ولكن أيها السيد يجب أن ..

فقاطعه الرجل قائلا :

● دعك هنا ولا تكثر من الحديث .

وأسقط بيده ووجد نفسه مكرها على البقاء حيث هو ، وانتبه الى نفسه على أصوات الجماهير وهى تردد نشيد الثورة . لقد انتهى الاحتفال وأخذت الجموع فى ازدحام وتدافع وفوضى . ولم يقدر على الصمود فى وجه ذلك السيل العارم من البشر وسقط على الارض .

ونهض وسوى من هندامه ومضى يعرج فى مشيته وقد طغى عليه احساس بالخجل من نفسه والنقمة عليها . وانحدرت على خده دمعة ساخنة تروى قصة حياة انسان كانت الحقيقة فيها أغرب من الخيال .

هوامش أخرى حول سيرة السيدة العلوية (*)

- 2 - (*)

تماما ، كشجرة صفصاف تتناول في احتشام ، كامرأة تتردد ، تحاور طرفا ملثما بداخلها ، ينازعها ، تنازعه ، تتساقط أوراقها واحدة واحدة ، تتعري ، وتنام ،، نوما عميقا وهادئا ، فى ليلة موحشة ،، ثم تستفيق ، فتورق من جديد ، ترتدى ثوبها بسرعة وباضطراب ، كطفلة انتبهت الى نفسها وقد تعرت ، تبحث عما يستترها ، فتطلق شعرها . تكسوها ألوان باهتة ، تملأ الامكنة وحشة وكآبة ..

كذلك تصحو قريتنا ، تدغدها نسيمات خريفية باردة ، تتسلل الى الازقة المقفرة .

من وسط حقول زيتون وبرتقال مترامية ، تحيط بالقرية ، يتعالى نباح الكلاب ، نباحا طويلا وحزيناً ، يتراعى بين الاحياء عواء وضغاء وهريرا ..

انتشر الخبر . علت همهمة سرعان ما تحولت الى ضجيج اختلط بزرقة الفجر .

حين تطلعت النسوة والصبايا من خلف شقوق الابواب الى حيث تراكض الرجال والاطفال ، كانت الحركة قد تكاثفت ، والهرج والمرج قد غمر الصباح ، صباحا خريفيا أغبر .

فى مثل هذا الوقت ، من زمن بعيد ، بعيد فى القدم ، يذكرونه جيدا . تعودوا على مثل هذه الدقات ، تدق الارض ، تدكها ، تزلزلها ، فيعلو الضجيج والنقع ، وتعم الازقة والاحياء وسط ظلمة باهتة .. يسيطر الهلع فى كل مرة ، ثم ترتفع الابتهالات والهتافات ، موحدة مكبرة معظمة مستغيثة .

(*) انظر مجلة « قصص » عدد 55 ، جانفى 82 .

كانت الجموع قد احتشدت مذ أول الفجر حول بقعة قد كثرت فيها آثار الحوافر بصورة جعلتها تبرز أكثر من غيرها من البقاع ،، برغم ضباب الصباح العائم المتكاثف ، لم تكن ، بل لا يمكن أن تكون دون أن تلفت انتباههم ، وهم الذين تعودوا الالتفاف حول كل جديد يجد بقريتهم ، فعلموا أسرارها ورددوا أخبارها .. وما حدث هذا الصباح كان مخالفا تماما لما توقعوا أن يحدث ،، ككل مرة ، مثلما تعودوا . والذين توارثوا عادة اقتفاء آثار زوار الصباح فى مناسبات كهذه ، ألفوا آثار هذه الحوافر تتجول بهم بين الازقة والمسالك ، وفى الشنايا ، وفى الساحات ،، ثم تقودهم الى البحر ،، يواجههم بسده وجزره وسكونه ..

وإن كان الامر غير قابل للتصديق ، فقد أسلموا وأن هذه الحيل التى تزورها عند كل صباح ، فى مثل هذا الوقت ، من كل فصل ، من زمن بعيد ، تخرج لهم من البحر ، تفعل معهم ما تفعل ، تروعهم ، تدشهم ، تزلزل الارض تحت أقدامهم ، ثم تعود من حيث أتت ، تخلف عند أقدامهم أمواجا متدفقة تتناسل ، وفقايق تتوالد ثم تكبر وتتهشم ، وبياضا ، ورغوة صابون تتاكل ، وسكونا ينطلق صغيرا موحشا ونعيقا ..

هكذا فى كل مرة ، يحدث فيها مثل هذا ، يتخلصون من الموضوع مرة واحدة ، ليبقى مجرد حادثة يخلفونها خلف ظهورهم نقطة استدلال ، يلتفتون اليها بين مسافة وأخرى ، كلما أوغلوا فى الزمن ،، علامة من جملة العديد من العلامات التى اعترضت طريقهم ، يذكرونها متى كان ما يذكرونها بها ، ثم سرعان ما ينشغلون عنها بأشياء كثيرة تعترضهم ، تتزاحم حولهم ، تفاصيل أخرى يومية بحجم تلك الساعات التى يقضونها هنا أو هنا : بين سنابل الذرة ، يشوون الفريك ، يتجادلون للحسم فى حسبة قديمة ، أو يلتفون حول « سى محمد ما سمح شعرو » ..

« سى محمد ما سمح شعرو » ، ابن حومتنا ، راعيها وحارسها الليل ..

وزيتونة من زياتينها ، تمتد جذورها فى أعماق هذه التربة الحمراء ، تغطيها الاوحال ، تشهد أن الحصب قد مر يوما . هذا الرجل الذى ليس هناك فى قريتنا من لا يذكره ، وهو يصول ويجول بين الاحياء وفى الحقول ، أو يتنزّه

على حد تعبيره ، يتتبع ويراقب كل كبيرة أو صغيرة تحدث هنا أو هناك .. كان صغيرا ، وكانت كل تلك السنوات العجاف ، وكانت الاعوام تمر فصلا واحدا ، وكانت الحرارة تتدفق من الارض ، وأهل قريتنا يتزاحمون حول مواقع الظل ، ينتظرون الغروب لتغتسل أجسادهم ببرودته ، وقد صهدها الحرارة ، تنبعث منها روائح العرق والأتربة . يركض خلف والدته ، أو يمسك بأطراف ثوبها وهي تجوب الأزقة ، وبين الحين والحين تمد يدها الى جراب يتعلق بأحد كتفيها ، يتدلى ، يهتز وهي تنقل خطواتها ، تتناول قارورة الزيت ، تسكب قليلا في أحد كفيها ، ثم تمرره على رأسه ، تطليه .. وها هو ما يزال يحتفظ بعادته تلك ، يطلى رأسه زيتا كل صباح ، فيسندل شعره ، يبرق تحت أشعة الشمس ، يسير ، وعندما يتعب من ذلك يجلس . تمر نسوة الحى ، تهمس احداهن : « ماسمح شعرو » .

فى الاماسى ، يكون الاهالى قد تحلقوا حوله ، يتابعون ما يقوله ، وقد حكموه للفصل بينهم ، يتعلقون بخيط من الضوء ، يهشم الليل وانسكون من حولهم . وكنا نقول : إنه الوحيد الذى يعرف القصة كاملة ، قصة هذه القرية الضائعة بين الثنايا ، ووسط غابات الزيتون ، ومن الجانب الآخر يتسبب البحر ، ويحاصرهم ويحاصرهم . وكان يقول دوما : ليتكم تجدون الفرصة لتعلموا أشياء أخرى كثيرة ، غابت عنكم . فنتصايح من حوله ، أن يفتح كتابه يقرأ فصلا آخر من فصوله .

وبالرغم من أنهم يسمعون حكاياته لأول مرة ، فهي تتلبس بهم ، تفتح لهم طرقا تمتد بين الحرارة والصقيع ، ونفقا ينبت الضوء فى طرفه ، يعايشون أناسا غرباء ، عرفوهم يوما ، تقاسموا واياهم الطريق .. كان دوما يعدهم بذلك ، وقد علموا بقصة هذا الكتاب . القصة الكاملة تقريبا . قصة بقائه فى حوزته ، بعد أن تمكن من تهريبه ، وقد دعا داع يدعو الاهالى الى افراغ البيوت من كل الكتب والقائما فى ساحة البلدة ، حيث تصاعدت السنة اللهب ، وتراقصت الحيات ، فتخاطفته الايدى تخفيه ، كثرت الاقاويل ، نعم ، وعم الشقاق والنفاق ، وأكثر من ذلك ، انتشر الفساد ، - فساد حكام ذاك الرقت - فاهتم عامة القوم بأمور قيل لا دخل لهم فيها .. تشبثوا بسى محمد ما سمح شعرو ، يدعونه ويلحون فى دعوتهم ، أن يواصل امتاعهم ومؤانستهم بأخبار وأسرار ..

مع كل ذلك ، فهناك أشياء أخرى كثيرة تطفو على السطح ، فيحسن سى محمد ما سمح شعرو العوم . نتشبت به أكثر . نصر فى دعوتنا والاحانا ، أن يفتح لنا طريقا يأخذنا ، أو صوتا يؤنسنا ، أو خيطا من الضوء نتعلق به ، نشد اليه أشلاءنا .

مذ سافرت السيدة العلوية ، وسار فى طريقها سيدى عبد القادر . وتوسل عم ابراهيم الملاى ، أن يأخذوه معهم ، فيخرج مع جملة من تطوع فى الخروج للبحث عنها ، ثم انقطع الى نفسه . وسقط طائر البوم ينق ، مفروود الجناحين يحط على الرؤوس . وجفت السواقي ، وقد طلت أديمها بالطين ذات يوم شتائى تحفظ المياه . وألقينا خيوط الصيد فى الماء العكر ، وكانت برك الماء منتشرة ثم ،،، لم يدم ذلك طويلا . تعلق القرص النحاسى ، وتمددت القرية قضيبا حديديا مصهودا ، يتوهج حرارة وحمرة . وتلاحق عواء الرياح الرملية العاصفة . أقفرت الطرق ، وانتشر الرعب ، فغلف الذعر كل شىء . اهتزت الاجساد ، انتفض فرخ مذبوح ، يموت ، ينتهى ، ويتنفس ..

وها هو سى محمد .. هكذا كنا نقول ، ونركض نحوه ،، يلتف فى معطفه العسكرى عيناه مدقوقتان فى الارض ، يسير ، وهو هكذا مذ تعلم السير ، فأصبح خبيرا فى اقتفاء الآثار ، آثار الدواب ، والحيوانات بأنواعها ،، لذلك كان حارسا ، يجلس فى مدخل القرية يستقبل الريح ،، يتشمم ،، يستنشق هواء رطباً ، مندفعاً ، يلحظ تغيره ، فيعلن ذلك .. يومها ، صباح ذلك اليوم الذى ترددت فيه الريح فلم تعصف ، وترددت الحرارة ، فامتصت ، والشمس تلكأت فى تسلقها ، ثم ارتدت ، يوم أطلت تلك النقطة البيضاء ، بريقا خاطفاً ، ثم عادت للظهور ، فتابع نموها . يومها فقط ، عاد للكلام ، تكلم كما لم يتكلم من قبل . حكى كما لم يحك من ليال طويلة ، فى مدخل البلدة عند مفرق الطرق . يومها قال بعضهم : أثرت فيه الحرارة .. سخنت عليه القايلة ..

ليلة أن تأكدنا من عودتها ، وقد تعرت تلك النقطة البيضاء النامية ، قص الحكاية كاملة .

عن خيول تخرج من الصمت ، والضباب ، والبحر ، تركض ، تجوب الازقة ، لوقع حوافرها دقات ، تدق الارض ، تدكها ، تزلزلها ، فيعلو الضجيج والنقع والصخب ، صخب الصمت .. تبحث عن تلاقح ..

ليلتها ، وقبل ذلك بقليل ، أى قبل أن تتعري النقطة البيضاء النامية ، قال
الذين تابعوا المشهد : ها هي تتحول الى نقطة ضوء يشع ، يقترب ، يكبر ،
فتكبر معها الامانى ، ويكبر الفزع فى العيون .

الذين دأبوا على الالتفاف حول سى محمد ما سمح شعرو ، وهو يقص عليهم
تلك الحكايات من ليال ، وبأكثر دقة منذ تركت السيدة العلوية هذه الربوع ،
وهاجرت ، ولحق بها من لحق ، ، فتناثرت الفراغات ، وأحدثت هوة ، فأصبحت
شيئا لا يطاق ، ، لم يكن أحدهم يحسب أنه سيجرؤ يوما فيقص عليهم حكاية
كهذه ..

قال بعضهم : لقد جن الرجل .. وقال آخرون محتجين : لن نسكت هذه
المرة .. اسكتنالوا .. ثم أضاف آخرون : سنوقفه عند حده .. نهاية فى
الوقاحة .. نساء قدامه ...؟! ..



<http://Archivebeta.Sakhril.com>

... ..

... ..

ليلتها ، وبعد ذلك بقليل ، أى بعد أن تعرت تلك النقطة البيضاء النامية ،
وتحولت الى نقطة ضوء يشع ، يكبر .. انتبهنا اليه يقف خلف الليل ..

★ ★ ★

ما قاله سيدى عبد القادر ليلة عودته ، يصحب السيدة العلوية :

دخلنا العالية ، من عمق الليل ، فلقيناها مخالفة لما تركناها ، ارتعى الصمت
يكبل اقدامنا ، وها هي مضطربة حزينة ، طفلة شابت ، وانتبهت الى عريها ،
تبحث عما يسترها ، فتطلق شعرها . هواؤها ثقيل ، رطب . سألنا أهالها .
بحثنا عن عرفناهم فى زمن غابر . التقينا بمن أخذها الى حيث يجلس سى
محمد . اجتهدنا ، والله أعلم ، مسحنا كآبته . أطلقنا فى سمائها الشماريخ ،
سرت البشرى . انتشر الخبر .. تراكضت الجموع نحونا .. ليلتها أنشدوا
البردة وشيئا من الاذكار .. ثم أدخلوا الطريق للشعراء ..

... ..

... ..

ونامت ،، السيدة العلوية ..

ونامت ،، القرية .. وقد عادت اليها ضحكتها ..

ونام ،، حارسها ، سى محمد ما سمح شعرو .

★ ★ ★

من طلائع الفجر ، من وسط حقول زيتون وبرتقال مترامية ، تحيط بالقرية،
تعالى نباح الكلاب ، نباحا طويلا وحزينا ، ترامى بين الاحياء عواء وضغاء
وهريرا ..

استفاق الاهالى على أصداء دقات ، تدق الارض ،، ذكرتهم بوضع حوافر
خيول ،، كانت تزورهم فى غير هذا الوقت ، فى غير هذا الفصل ، من
زمن بعيد ..

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

لم يدم ذلك طويلا ، وعلت الهمهمات ، سرعان ما تحولت الى ضجيج اختلط
بزرقة الفجر ..

يوسف سلامة

تونس / 12 / 81

المؤلف : دينو بوزاتي

تعريب : أحمد ممو

الكلب الذي شاهد الرب

المؤلف : دينو بوزاتي (1906 - 1972) درس بميلانو حيث كان والده يشغل منصب استاذ في القانون الدولى ورغم نجاحه في دراسة القانون الا ان ميله الى الادب جعله يوجه حياته في هذا الاتجاه . ابتدا حياته الادبية بكتابة الشعر . التحق بأسرة تحرير صحيفة (Corriere della Sera) وهو في سن الثانية والعشرين . كتب بعد ذلك عدة روايات ثم انتقل أثناء الحرب العالمية الثانية الى أثيوبيا كمراسل حربي لجريدة (La Marine) اشتهر بقصته «صحراء التتار» (Le désert des Tartares) . من كتبه : «برنابو الجبال» (Bernabo des montagnes) و «الصورة الحجرية» (L'image de pierre) و «حب» (Un amour) و «الكاف» (le K) . اخرج له مسرحيا البير كامو «حالة ذات اهمية» (Un cas interessant) .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

قال عنه مارسال بريون (Marcel Brion) من الاكاديمية الفرنسية : «كان كتابه «صحراء التتار» كافيا لكى يضع دينو بوزاتي في صف أشهر الكتاب . ومن خلال قصص مجده وعته «سقوط باليفرنا» (L'Ecrroulement de la Baliverna) نستشف نفس السحر اذ يبقى القارئ مأخوذا بين المتعة والضيق اللذين تواجههما كل قصة من هذه المجموعة . فكل واحدة منها هي بمثابة قفزة شاقة فوق الهاوية أو عملية صعودية لجبل شاهق أملس ... »

القصة : قصة «الكلب الذي شاهد الرب» مترجمة عن النسخة الفرنسية (فوليو) للمجموعة القصصية «سقوط باليفرنا» التي نشرت سنة 1979 .

- I -

لما مات «سبيريتو» الخباز الثرى من مدينة «تيس» ترك لقريبه «ديفانداتى سابورى» ثروته ، ولكن فعله هذا لم يكن يخلو من نية مبيتة اذ انه قد اشترط

على وريثه - ولمدة خمس سنوات - توزيع خمسين كيلو غراما من الخبز الطازج كل صباح على الفقراء . وذلك فى مكان عام . ولا بد ان يكون العم - قبل موته - كثيرا ما كان يضحك بينه وبين نفسه لمجرد تصور أن هذا القريب القاسى القلب الذى لا يماثله أحد فى نكرانه لوجود الرب وشمته له فى هذه المدينة المطرودة من رعاية الكنيسة سيكون مضطرا الى أن يهب حياته طوال هذه المدة لفعل الخير وذلك تحت أنظار الآخرين .

كان «ديفانداتى» الوريث الوحيد ، قد عمل منذ نعومة أظفاره فى المخبزة دون أن تخامره فى يوم ما فكرة أن يمتلك العم ستكون من نصيبه بعد موت صاحبها . ولكن هناك هذا الشرط الذى يضايقه كثيرا . ماذا يمكنه أن يفعل؟ يدير وجهه عن كل هذه النعمة التى خصه بها الرب بما فى ذلك المخبزة ؟ واضطر « ديفانداتى » الى الاذعان فى النهاية بعد أن استنفد رصيده من السباب .

اما فى خصوص المكان العمومى الذى يجب ان يتم فيه توزيع الخبز يوميا فقد اختار «ديفانداتى» الموضع الاقل انكشافا وذلك قرب الباحة الخلفية لمخبزته . وعند ذلك المكان يشاهد الحياز فى كل يوم فى ساعة مبكرة منهمكا فى وزن الخبز كما تنص على ذلك الوصية ، ثم يقوم بعد ذلك بجمعه فى قفة كبيرة لكى يفرقه على الفقراء الجائعين رادفا أرغفته بالشتائم والتعليقات اللاذعة على حساب عمه الميت . كان «ديفانداتى» يعتقد فى قرارة نفسه أن التفريط يوميا فى خمسين كيلو غراما من الخبز مناف للعقل وللأخلاق .

قلما كان «ستيفالو» العدل المكلف بتنفيذ الوصية يأتى للتمتع بهذا المشهد ، لان الساعة كانت مبكرة جدا . ولم يكن هناك من يستطيع مراقبة شرعية العملية أحسن من السائلين أنفسهم . ورغم ذلك فقد توصل «ديفانداتى» الى ايجاد حل جزئى لمشكلته : فهو يضع قفته الكبيرة التى تحوى نصف قنطار من الخبز قرب الحائط وكان قد فتح فى الحائط بابا سريا صغيرا . وبعد أن يشرع فى توزيع الخبز اعتاد الخباز على التخلي عن تلك المهمة لزوجته ومعاونيه مدعيا أن فرنه وتجارته فى حاجة الى وجوده داخل المخبزة ، ولكنه فى واقع الامر كان يسرع الى القبو لكى يصعد فوق كرسى ثم يفتح فى حذر نافذة صغيرة فى مستوى أرضية الباحة الخلفية حيث توجد القفة . ويفتح بعد ذلك

باب الخوص الذى أحدثه فى قاع القفة لكى يسحب منها ما يمكنه من الخبز وبذلك الشكل كانت القفة سريعا ما تصبح خاوية . ولكن كيف يمكن للفقراء أن يتفطنوا الى مثل هذه المناورات ؟ اذ ان الخبز يفرق بسرعة يبدو معها معقولا أن تصبح فيه القفة خاوة بعد وقت قصير .

فى البداية كان اصداقاء «ديفانداتى» ينهضون من نومهم باكرا لكى يأتوا لمشاهدته فى مهامه الجديدة فهم يتجمعون عند مدخل الساحة لمراقبته وللسخرية منه .

– شملك الرب بعطفه فأنت تهىء مكانك فى الجنة ؟! أواه كم يبدو طيبا هذا الحب للخير !

– ليشمل برعايته هؤلاء الجيف !

كذلك كان يجيب «ديفانداتى» قاذفا جمع السائلين بأرغفته التى كانوا يتخاطفونها .

كان «ديفانداتى» يبتسم عندما يفكر فى الحيلة التى توصل اليها لكى يغالط بها هؤلاء البؤساء وكذلك روح عمه الميت

– 2 –

خلال نفس الصيف جاء الراهب الشيخ «سلفاسترو» لكى يستقر فى نفس المنطقة بعد أن علم بغياب حضور الرب بها . استقر الراهب فى خرائب كنيسة قديمة تقع على بعد عشرة كيلو مترات من مدينة «تيس» فوق هضبة منعزلة . وكان يجد حاجته من الماء عند العين القريبة ، وينام فى زاوية من الكنيسة تظللها بقايا قوس متهدم ، ويأكل النباتات والثمار الوحشية القريبة منه . ثم هو يصعد فى أى وقت من اليوم لكى يركع عند قمة صخرة شاهقة متأملا وجود الرب ومن ذلك الموقع كان يمكنه أن يرى بيوت «تيس» وسطوح بعض الخرائب الاقرب منها مثل «فوسا» و «اندرون» و «ليمانا» . كان الراهب ينتظر – دون جدوى – أن يصعد اليه أحدهم . وكانت صلواته المتهدجة تصعد من أجل أرواح هؤلاء الحاطئين الى السماء بلا طائل ، ورغم ذلك فان «سلفاسترو» قد واصل عبادته للرب عن طريق الصوم والتحدث الى العصافير عندما ينتابه

الحزن . ورغم ذلك فان أيا كان لم يأت . وفى الواقع فان الراهب كان قد لاحظ ذات مساء صبيين يتلصصان عليه من مسافة بعيدة ولما ناداهما هربا .

- 3 -

أصبح سكان الجهة يرون كل ليلة أنوارا غريبة صادرة عن الكنيسة المهجورة وكانت تبدو كما لو أن حريقا ما قد شب فى الغابة . وكانت هالة الضوء بيضاء وترتفع فى هدوء . وذات مساء قصد «فرانجيميليسيا» (المكلف بالفرن) اتجاه الكنيسة تحت دافع حب الاطلاع ولكن دراجته النارية تعطبت فى منتصف الطريق . ومن يدرى لماذا ؟ اما هو فأحجم عن اتمام المسافة على قدميه . وعند رجوعه الى المدينة تحدث عن هالة من الضوء تشمل كل الهضبة التى استقر فوقها الراهب . ولم تكن الهالة صادرة عن نار موقدة أو عن مصباح ما . ولم يكن من الصعب على الفلاحين أن يستنتجوا انه النور الربانى .

يكون من الممكن أحيانا وأثناء بعض الليالى مشاهدة تلك الهالة الضوئية من «تيس» نفسها . ولكن كل ذلك الاهتمام الذى أبداه الاهالى لمجئى الراهب وللأنوار التى تشاهد ليلا لم يلبث أن تلاشى فى لا مبالاة اعتاد الفلاحون أن يواجهوا بها كل ما يمت بصلة الى الدين . وإذا صادف أن تحدثوا عن مثل هذه الاشياء فهم يفعلون ذلك كما لو كانوا يذكرون أشياء عادية وقديمة دون أن يلح أحدهم فى البحث عن تفسير لها . وأصبحت الجملة التالية : «الراهب يرسل أضواءه» عادية بين الفلاحين كما يحدث أن يقول أحدهم : «لقد أمطرت السماء هذه الليلة ..» او «البارحة كانت الريح قوية» . ولم تكن هذه اللامبالاة دون جدوى اذ ان العزلة التى ضربت حول «سلفاسترو» تؤكد ذلك فالجميع يجد أنه من البلاء أن يذهب اليه أحدهم بنية الحج .

- 4 -

عندما كان «ديفانداتى سابورى» ذات صباح يقوم بتوزيع أرغفة الخبز الصغيرة للفقراء اذ دخل الساحة كلب . كان الحيوان يبدو ضائعا بجثة ضخمة وشعر منفوش ومشية متخاذلة . تسلل الكلب وسط السائلين الذين كانوا فى انتظار الخبز الى أن وصل الى قفة الحوص وأخذ منها رغيفا . ثم انصرف فى تمهل لا كما ينصرف السارق بل كما ينصرف من يأتى لاختد حقه . صاح به «ديفانداتى» ذاكرا اول اسم خطر له :

— هوه . . . «ميدور» تعال هنا ايها الحيوان القذر . . .

وانطلق الخباز وراء الكلب : (ألا يكفي ما أعانى من هؤلاء الجيف . لم يبق الا ان تأتى الكلاب فى مثل هذه الساعة !) . ولكن الكلب كان قد ابتعد بعد .

نفس المشهد كان من الغد . نفس الكلب ونفس العملية . ولكن فى هذه المرة لاحق الخباز الكلب الى حد الطريق راميا اياه بالحجارة دون أن يتمكن من اصابته .

المسلى فى الامر ان الكلب كان يأتى كل صباح . والعجيب فى الامر أن الكلب كان يختار دائما لحظة غفلة من الخباز لكي يأخذ رغيته مما يجعله فى غير حاجة الى أن يسرع فى هربه . وفى كل مرة كانت الحجارة التى يرميها به الخباز لا تصيبه . وفى كل مرة كان جمع السائلين ينفجر ضحكا . وفى كل مرة أيضا كان الخباز يطلق العنان لغضبه . ولكن كل ذلك كان دون جدوى اذ ان الكلب كان يتمكن فى كل مرة من الدخول ثم الخروج دون أن يتفطن اليه الخباز الضائع وسط الفقراء وسخريتهم . ولم يكن من بينهم من يفكر فى تنبيهه الى دخول الكلب . صاح أحدهم :

— اواه . . .! لقد عملها اليوم أيضا .

— أين هو ؟ . . . أين هو ؟ (ديفانداتى قافزا من مخبئه كالشيطان) .

— انظر اليه . . . انظر اليه كيف ينطلق مسرعا (قالها أحدهم مبديا ارتياحه لغضب الخباز) .

وفى الواقع فان الكلب لم يكن يسرع فى مشيته بل كان ممسكا بالرغيف فى فمه وهو يبتعد بمشيته الهادئة اللامبالية كمن كان ضميره مرتاحا تماما .

هل يتظاهر بتجاهل الكلب ؟ لم يكن فى مقدور «ديفانداتى» تحمل مثل هذه الدعابة . وبما أنه لم يتمكن من القبض على الكلب فى الساحة العمومية فهو سيعتصده على الطريق . قد لا يكون الكلب فى الواقع من جملة الكلاب الضالة؟ قد يكون له مأوى يرجع اليه ؟ قد يكون له رب فى مكانه أن يعوض عنه الحسارة

التي تسبب فيها ؟ ... المهم أن هذه الوضعية لا يمكن ان تتواصل . تأخر موعد نزول «سابورى» الى القبو لايام متعددة وذلك نتيجة ترصده للكلب مما لم يمكنه من استرجاع الا القليل من الخبز كل صباح ، وذلك يعنى دراهم كثيرة ضائعة . وحتى محاولة صد الكلب بدس رغيف مسموم فى مكان ظاهر للعيان عند مدخل الساحة لم يأت بنتيجة اذ ان الكلب تشم قطعة الخبز ثم اتجه نحو القفة . هذا على الاقل ما أكدته شهود عيان بعد ذلك .

- 5 -

أخذ «ديفانداتى سابورى» دراجته وبندقية الصيد التي يملكها واختبأ عند مدخل منزل على الجانب الآخر من الشارع وذلك لكى يضمن لمحاولته النجاح . كان قد فكر أن الدراجة ستعينه على تتبع الكلب . أما البندقية ذات الطلقتين فقد تكون صالحة لقتله إذا تبين أنه لا سيد له يدفع عنه تعويض ما أخذه من الخبز . ولكن ما كان يحزن الخباز حقيقة هو أن محتوى القفة سيكون فى هذا الصباح من نصيب الفقراء دون أن يقدر على استرجاع ولو القليل منه .

من أين يأتى هذا الكلب وبأى طريقة ؟ هذا هو اللغز . فرغم أن الخباز كان متيقظا الا انه لم يره قادما . لم يتفطن اليه الا عندما كان منصرفا فى اطمئنان ورغيف الخبز بين اسنانه . وانفجرت القهقهة فى الساحة ... انتظر «ديفانداتى» الى ان ابتعد الحيوان بما فيه الكفاية لكى لا يحس بتبعه اياه ثم قفز على مقعد دراجته وانطلق وراءه .

الفرضية الاولى : سيتوقف الحيوان بعد قليل لكى يشرع فى التهام الرغيف ... ولكن الكلب لم يتوقف . وتصور الخباز أن الكلب قد يتسلل بعد مسافة ما من الطريق داخل أحد المنازل . ولكن هذا ايضا لم يحدث اذ واصل الكلب طريقه بالرغيف فى فمه محاذيا للجدران فى خطوات مترنة دون ان يتوقف لكى يتشم شيئا ما أو لكى يرفع احدى قائمته الخلفيتين كما هي عادة الكلاب .

اين سيتوقف اذن ؟ رفع «سابورى» نظره الى السماء الرمادية وفكر انه ليس من المستبعد أن تمطر السماء . اجتازا ساحة القديس «اقناس» ثم مرا بالمدرسة والمحطة والحمامات العمومية وسارا حتى حدود القرية ثم خلفا وراءهما الملعب وتوغلا فى المنطقة الريفية .

لم يلتفت الكلب الى الوراء ولو مرة واحدة منذ خروجه من ساحة المخبزة .
هو يجهل - دون شك - أن هناك من يتبعه .

يبدو أنه يجب طرح فكرة العثور على صاحب لهذا الكلب يعرض عنه
الحساسة التي تسبب فيها .

يبدو أنه كلب ضال كأي واحد من تلك الحيوانات القذرة التي تقلق راحة
المزارع والضيعات ، سارقة الدجاج ، ناهشة العجول ، مفزعة الشيوخ لكي
تنتهي بعد ذلك الى المدينة تنشر فيها امراضها الخبيثة .

لم يبق الا ان يطلق عليه النار . ولكن هذا كان يتطلب من الخباز ان يتوقف
لكي يترجل من فوق دراجته ، ثم هو في حاجة بعد ذلك لكي يأخذ بندقيته من
فوق كتفه . وأثناء كل ذلك ودون ان يكون في حاجة الى ان يسرع في مشيته
يصبح الكلب بعيد المنال . لاجل ذلك واصل «سابوري» تتبعه للكلب .

- 6 - ARCHIVE

هذه هي بداية الغابة . دخل الكلب في طريق فرعى ضيق ثم في آخر أضيق
منه ولكن الطريق كان مستويا وبلا صعوبة .

كم قطعاً من الطريق ؟ قد تكون ثمانية أو تسعة كيلو مترات ! لماذا لم
يتوقف الكلب لكي يأكل؟ ماذا ينتظر؟ هل يمكن ان يكون يحمل الحبز لشخص
ما؟ وفجأة أصبحت الطريق صعودية يكفي الآن أن يقرر الكلب الدخول في مسرب
صغير آخر لكي يصعب على الدراجة متابعته . ولحسن الحظ فان تصعد الطريق
قد جر الكلب الى التباطؤ في سيره . وانتهى «ديفانداتي» الى ترك دراجته
ومواصلة الطريق راجلا ولكن المسافة بينه وبين الكلب كانت تتسع .

قرر الخباز وهو في اوج غضبه محاولة اطلاق النار لكن فجأة تبين له عند
قمة مرتفع صخرة عظيمة ، وفوق تلك الصخرة كان هناك رجل راكع . وتذكر
الخباز في اللحظة نفسها حكاية الراهب والانوار الليلية وكل تلك الحكايات
الفارغة . اثناء ذلك كان الكلب يمضي مصعباً حتى انتهى الى الصخرة .

توقف «ديفانداتي» على بعد خمسين مترا ماسكا بندقيته في يده . تبين له ان الراهب يقطع صلاته لكي يقفز من فوق صخرته في خفة غير معتادة ثم يهرول في اتجاه الكلب الذي كان يبصبص له بعد ان القى قطعة الخبز عند قدمي الراهب . التقط الراهب الرغيف واقتطع منه قطعة صغيرة وضعها في جرابه ثم ابتسم وارجع بقية الرغيف للكلب .

كان الراهب ضئيل الحجم ، رقيق العود ، يرتدى جلبابا . كان وجهه يعكس الطيبة المشوبة بعث طفولي .

قرر الخباز في النهاية الافصح عما جاء من أجله لكن «سلفاسترو» كان قد تطفن الى اقترابه منه لذلك هتف به :

- مرحبا بك أيها الاخ ! ما الذي جاء بك الى هنا ؟

- في الحقيقة لقد كنت وراء صيد ... صيد هذا الحيوان القذر الذي يأتي كل يوم لكي ... كان صوت الخباز حازما . لكن الشيخ قاطعه :

- هو أنت اذن الشخص الذي يمكنني كل يوم من هذا الخبز اللذيذ ؟
خبزك ممتاز بشكل ظننت فيه أنني لا أستحقه .

- وتقول عنه انه لذيذ؟! وكيف لا يكون لذيذا ما دام قد خرج لتوه من الفرن . أنا أدري بمهنتي يا سيدي . ولكن خبزي لم يكن يخبز لكي يسرق !

أطرق «سلفاسترو» لكي يحرق في الاعشاب طويلا ثم قال في حزن :

الآن فهمت . أنت على صواب في تظلمك ... ولكني كنت أجهل كل هذا . وهذا يعني ان «قاليون» لن يذهب الى القرية بعد اليوم . سأحبسه هنا بقربي ... حتى هذا الكلب يجب ان يتجنب تأنيب الضمير ... أعدك أنه لن يعود الى القرية بعد اليوم !

ارتاح الخباز قليلا :

- حسنا ... اذا كان الامر بهذه الصورة فبإمكان الكلب أن يأتي ... لو لم تكن هذه الوصية الملعونة التي تجعلني أفرط كل يوم في خمسين كيلو

- انى ادرك تماما ما أقول ... فانا كما ترى لست طفلا !
- أصحيح (ثم رد اليه بندقيته) ... أصحيح ان الانسان لا يجد صعوبة كبيرة فى العثور على مكان شاغر فى كنيسة « تيس » يوم الاحد ؟ بلغنى أنها قلما تكون مكتظة ...
- هى أفرغ من يد خاوية ...
- كان سرور الخباز واضحا • ثم استجمع شجاعته لكي يضيف :
- نحن قلة أولئك الذين يقفون هذا الموقف !
- كم تكونون عادة - أنت والآخرين - أثناء القداس ؟
- اواه .. قد نكون ثلاثين تقريبا أيام الآحاد ... اما يوم عيد المسيح فقد نصل الخمسين •
- قل لى : هل اعتاد الناس فى « تيس » شتم الرب عن اقتناع ؟
- يا للشيطان ! وتساءلنى هل يشتم الناس الرب هناك . وهم ليسوا فى حاجة الى ان يترجاهم الانسان لكي يستعرضوا شتائمهم ...
- هم اذن لا يعتقدون فى وجود الرب ...
- اعتقاد سطحي جدا ! (أكد ، « ديفانداتى » ذلك فى ضحكة خفيفة) هم زمرة من المارقين ... بالتأكيد هم كذلك !
- وهل ترسل ابناءك الى الكنيسة ؟ •
- ليلعنى الشيطان ان كنت ارسلهم فليس اكثر من التعميد ثم سر الميرون ثم تناول القربان الاول والثانى •
- أصحيح حتى تناول القربان الثانى ؟
- بالتأكيد حتى الثانى ! ابنى الصغير كان قد ...
- تراجع الخباز متداركا نفسه فقد يكون افصح عن اشياء يجب ان يحتفظ بها •

– انت بالتأكيد رب عائلة طيب .. !

علق الراهب بذلك على كلام الخباز (ولكن لماذا هو يبتسم بهذا الشكل) ؟

– عد الى زيارتى من حين لآخر ايها الاخ ... والآن استودعك الله ...

حرك الراهب يده كما لو كان سيبارك الخباز . اخذ «ديفانداتى» على حين غرة . لم يجد ما يجيب به . قبل ان يدرك ذلك تماما كان قد أحنى رأسه ورسم شارة الصليب ، لحسن الحظ أن أحدا – عدا الكلب – لم يكن يراقبه .

- 7 -

شئ جميل هذا التواطؤ السرى مع الراهب . ولكن الاشياء لم تكن تبدو كذلك الا عندما تحمل الاحلام الخباز الى منصب العمدة أما فى واقع الامر فهو مضطر الى التيقظ التام . كان توزيع الخبز للفقراء قد حط من منزلته فى نظر مواطنيه رغم أنه لا خيار له فى الامر . وليتصور الانسان ماذا يكون موقفهم لو علموا انه قد رسم شارة الصليب ؟ شكرا للرب أن أحدا – بما فى ذلك معاونوه – لم يلحظ تغيبه .. ولكن هل يمكن التأكد من ذلك ؟ وكيف يمكن الآن التخلص من حكاية الكلب ؟ فهو لم يعد قادرا على منعه من أخذ خبزه اليومى ، ولكن هو لا يستطيع أن يتركه يأخذ خبزه أمام انظار الفقراء الذين لا ينتظرون الا مثل هذا لكى ينسجوا الحكايات الطويلة .

لاجل كل ذلك انطلق «ديفانداتى» من الغد وقبل ان تشرق الشمس لكى يقف عند الطريق قرب منزله ، وما ان ظهر «قاليون» حتى صفر له الخباز يستدرجه . ولما تعرف عليه الكلب اقتاده الخباز الى كوخ ملاصق للمخبزة اعتاد ان يحفظ فيه الخشب . وهناك تحت مقعد خشبى وضع له الرغيف الذى فى يده لكى يفهم الكلب ان فى هذا المكان بالذات يجب ان يأتى كل يوم لكى يستلم قوته . وبالفعل جاء الكلب من الغد لكى يأخذ خبزه من تحت المقعد الخشبى دون أن يراه «ديفانداتى» او احد من الفقراء .

غراما من الخبز مما يجبرنى على تفريقها على أولئك اللقطاء الذين لا قانون يحدهم ولا رادع يرددهم ... فى هذه الحالة فان ينتهى رغيف من خبزى الى هنا وان يكون هناك فقير زائدا او ناقصا ...

- ليجازك الرب خيرا ايها الاخ فموقفك هو الطيبة بعينها سواء كان ذلك بالوصية او بدونها .

- لكن أنا فى غير حاجة الى السماع بهذه الوصية .

- ادرك تماما ما الذى يدفعك الى الحديث بهذا الشكل ... أنتم ايها البشر تحسون بالخجل من شىء ما لذلك تسعون الى ان تبدوا شرسين وأكثر سوءا مما أنتم عليه فى الواقع ... هكذا هو العالم !

لم يجد «ديفانداتى» شتائمه التى كان قد أعدها . وجدها تقف فى حلقه دون ان تقدر على تجاوزه . كان مرتبكا وقد يكون أصيب بخيبة ما ولكنه لم يتمكن ولو من الافصاح عن غضبه . ما كان يرضى غروره - على الاقل - هو كونه الاول والوحيد من المنطقة الذى تمكن من الاقتراب من الراهب . فكر الخباز بينه وبين نفسه : ان اى راهب - بأى شكل كان - لا يمكن أن تنتظر منه اشياء طيبة . ولكن ما ادراه ما يمكن ان يقع بعد ذلك ؟ لو توصل الى عقد أواصر الصداقة مع «سلفاستر» فمن يدري قد يتوصل فى يوم ما الى استغلالها لفائدته الخاصة ؟ فلنتصور مثلا أن الشيخ قد يحدث معجزة فى يوم ما عندها سيلتفت اليه الشعب وسيأتى الرهبان والقساوسة الكبار من المدينة لكى تقام الاحتفلات والاعياد ، وعندها يصبح هو «ديفانداتى سابورى» صديق القديس الجديد محل غبطة الجميع وفى هذه الحالة يمكن أن ينصب عمدة مثلا ... ولما لا ؟ فكل شئ ممكن !

خلصه «سلفاسترو» من افكاره :

- اواه ... كم هى جميلة بندقيتك !

جذب الراهب على حين غرة البندقية من يد الخباز . تساءل «ديفانداتى» بينه وبين نفسه لماذا كتب للرصاص ان تنطلق فى تلك اللحظة بالذات مخلقة صداها يتردد فى جنبات الوادى ؟ لكن الراهب كان ممسكا بالبندقية فى حزم . نظر اليه الخباز فى عداوة قبل ان يقول :

اعتاد الخباز عند كل فجر أن يضع الرغيف داخل الكوخ الخشبي . أصبح كلب الراهب يأتي مع غبشة الفجر لما اقترب الخريف وتقلصت ساعات النهار هكذا كان «ديفانداتي» يعيش في هدوء نسبي مما مكنه من تخصيص اوقاته لاسترجاع الارغفة المخصصة للفقراء عن طريق الباب السري الذي أحدثه في قفة الخوص .

- 8 -

مرت الاسابيع ثم الاشهر وجاء الشتاء بالصقيع المتجمد على النوافذ وبالبحار الذي يتصاعد من الطرق طوال اليوم وبالمارة المتلفعين بشياهم الشتائية وبالعصافير العجفاء المتجمدة عند الاسيجة واكتست الهضاب معطفا خفيفا من الثلج .

ذات ليلة قمراء شديدة البرد بدت من ناحية الشمال في اتجاه الكنيسة القديمة المهجورة أنوار شديدة البياض كما لم تظهر كذلك من قبل وتسبب ذلك في حالة فزع في «تيس» مما دفع السكان الى مغادرة فرشهم في عجلة فاذا مصاريع النوافذ تفتح بشدة وتردّد النداءات من منزل الى آخر . وتعالّت الضجة في الشوارع ... وفي النهاية عندما فهم الجميع ان كل تلك الانوار لم تكن الا احدى التجليات العادية «لسلفاسترو» .. هي مجرد نور رباني جاء لتحية الراهب ... ثم اغلق الجميع نوافذهم وعادوا للاندساس تحت أغطيّتهم الدافئة يصاحب كلا منهم شعور بالخيبة لحالة الفزع الكاذبة هذه . ولما كان الغد ودون ان يعلم من ذا الذي جاء بالنبا انتشر الخبر ان «سلفاسترو» الشيخ قد مات من البرد اثناء الليل .

- 9 -

بما ان القانون يفرض دفن الموتى فان حفار قبور وبناء مع معاونين له قد انطلقوا صحبة القس «الون تابيا» - الذي كان دائما بفضل تجاهل وجود الراهب في كنيسته - في اتجاه الجثة . وضع التابوت فوق عربة يجرها حمار صغير .

وجد الرجال الخمسة «سلفاسترو» ممددا في الثلج راسما علامة الصليب بيديه المفتوحتين وجفنيه المغلقين . كان في وضع القديسين تماما وبالقرب منه كان الكلب «قاليون» مقعيا وهو يبكي . وضعت الجثة في التابوت وتليت عليها الصلوات في عجلة ثم دفنت قرب مدخل الكنيسة حيث اعتاد الراهب ان ينام . في النهاية وضعت علامة صليب خشبية فوق القبر ثم عاد «آلون تابيا» ورفقاؤه من حيث جاؤوا تاركين الكلب الجاثي متكوراً فوق القبر . لم يسألهم أحد من القرية عما فعلوا . لم يظهر الكلب بعد ذلك اذ ان «ديفانداتي» لما جاء من الغد لوضع الرغيف المعتاد تحت المقعد الخشبي وجد ذلك الذي تركه هناك بالامس ولما كان الصباح الموالي كان الرغيف لا يزال في مكانه وقد ازداد يبسا وحفر خلاله النمل أنفاقا وتعاريج .

مرت الايام وكما حدث ذلك للآخرين نسي «ديفانداتي» ايضا الكلب .

- 10 -

بعد اسبوعين من ذلك عندما كان «سابوري» في مقهى البجعات يلعب العمدة «لوسيانى» والفارس «برنارديس» بالورق اذ نظر احدهم الى الطريق وصاح قائلا :

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

- عجيب !.. ها هو الكلب !..

وارتعش «ديفانداتي» ثم نظر الى الخارج . كان كلب نحيف يتقدم في الشارع متعثرا في مشيته ، وهو يكاد لا يقوى على الحركة من شدة الجوع . لم يكن «ديفانداتي» قد نسي ان كلب الراهب اضخم جثة واكثر حيوية . ولكن اسبوعين من الصيام كافيين لتحويل اى كلب الى مثل هذه الحالة . وبدا للخباز انه لم يكن مخطئا في تعرفه على كلب الراهب . قد يكون الحيوان استجاب لنداء الجوع بعد هذين الاسبوعين اللذين قضاهما في البكاء على قبر صاحبه . لذلك جاء الآن يبحث عن قوته قال «ديفانداتي» ضاحكا لكى يبدى عدم مبالاته :

- هو ليس في حاجة الى الكثير من الوقت لكى يصبح في نحافة العصا .

رمى «لوسيانى» بأوراقه ثم رسم على ملامحه ابتسامة باهتة قبل أن يقول :

- لا يمكن ان يكون هو نفسه ! ألا ترى ذلك ؟

– من هو ؟

– لا يمكن ان يكون كلب الراهب .

أما الفارس «برناديس» فقد كان اقل فطنة لذلك تحرك فجأة لكى يقول :

– ولكن سبق لى ان رأيت هذا الحيوان من قبل ... لقد رأيته فى مكان قريب .. أليس لك هذا الكلب يا «ديفانداتي» ؟

– لى أنا ؟ وكيف يمكنه ان يكون ملكى !؟

وأصر «برناديس» على موقفه :

– ومع ذلك لا أظن أنى مخطئ . يبدو لى أنى قد رأيته قرب مخبزك .

وكاد «سابورى» يخرج من جلده من شدة الغيظ :

– اوف ! هى كثيرة الكلاب التى هى من هذا القبيل ... كثيرا ما يراها الانسان تتسكع ... يحتمل رغم كل شئ لكن أنا لا أتذكره .

هز «لوسيانى» رأسه فى حزم كما لو كان يفكر فى شئ ما ثم قال :

– بالتأكد ... بالتأكيد ! لا بد أن يكون هو نفسه كلب الراهب .

واضطر الخباز الى تصنع الضحك :

– ثم ماذا ؟ ... لماذا تريدون أن يكون كلب الراهب على وجه الخصوص ؟

– تطابق تام ! أفهمت ، نحافته ، كل شئ فيه ... فكر قليلا . هو منذ ايام عند القبر ... الكلاب تتصرف هكذا دائما ... والآن وقد استرجع شهيته للاكل ها هو قد جاء ...

واضطر الخباز الى السكوت . اثناء ذلك كان الكلب ينظر حواليه . ثم استقرت نظرتة خلال لحظة قصيرة – من خلال بلور الواجهة – على الرجال الثلاثة الجالسين . تنفس الخباز بصعوبة . نظر الفارس «برناديس» الى الخباز لكى يقول :

– أنا على استعداد لكن أقسم انى قد رأيته من قبل ولاكثر من مرة . وقد رأيته على وجه التدقيق عندك بالذات ...

- ممكن ! ممكن ! أما أنا فلا أتذكر ذلك .

وعلق «لوسيانى» فى تخابث :

- كلب مثل هذا لا أتركه فى حوزتى مقابل كل ذهب الدنيا .

اضاف برناديس :

قد يكون مصابا بداء الكلب ؟ ألا ترى أنه قد يكون كلبا ؟

- ومن ذا الذى يدعى ذلك ؟ أنا لم ادع ذلك . انا اقول فقط انى لا

اثق فى كلب مثل هذا ... كلب شاهد الرب !

- ماذا تقول ؟ كلب شاهد الرب ؟

- أليس هو كلب الراهب ؟ ألم يكن معه عندما كانت تظهر الانوار . الكل

هنا يعرف ماذا تعنى تلك الانوار ؟ والكلب ألم يكن اثناء ذلك فى الصفوف

الامامية ؟ أتظن أنه لم يكن يرى أى شىء ؟ أتظن انه كان نائما أمام

مشهد مثل هذا ؟

واصل الفارس تعليقه :

- ترهات ! لا احد يعرف أى شىء عن هذه الانوار ! لماذا تريده أن يكون

الرب وليس الشيطان الذى كان يصدر الانوار ؟ الليلة الماضية لقد كانت نفس

الاضواء ...

سأل «ديفانداتى» فى تلهف وقد لاح له بصيص من الامل :

- ماذا تقول ؟ الليلة الماضية ؟

- لقد رأيته بعينى هاتين . لم تكن لها نفس البهرة كما كان ذلك يحدث

من قبل ومع ذلك فقد كانت واضحة تماما !

- هل أنت متأكد أن ذلك كان الليلة الماضية ؟

- نعم الليلة الماضية بالتأكيد ... لا للرب ! لقد كانت مماثلة للانوار

الآخرى ... هل ترغب ان تكون الليلة الماضية على وجه الخصوص ؟

كان وجه «لوسيانى» قد ازداد تجهما :

- ومن يضمن ؟ من يضمن أن أنوار الليلة الماضية لم تكن من أجله

هو ؟

– الكلب طبعا ! لعل الراهب نزل من جنته عوضا عن الرب ! فهو يراه طوال هذه المدة ملازما لقبره فقد يكون فكر في كلبه المسكين ... لذلك نزل لكى يقول له : ان الحزن لا يفيد وأنه ليس فى حاجة الى بكائه ومن الافضل ان يبحث له عما يأكله !

وتمسك الفارس «برناديس» بفكرته :

– ولكن لماذا كل هذا ما دام الكلب مر من هنا ؟ أنا أقسم انى قد رأيته يتسكع قرب المخبزة .

– II –

كانت الافكار تتصارع فى رأس «ديفانداتى» عندما رجع الى منزله . كم هى مقلقة هذه الحكاية . كلما حاول اقناع نفسه ان الكلب لا يمكن ان يكون هو نفسه كلب الراهب ازداد اقتناعا بذلك . ليس فى ذلك ضرر ما طبعا . ولكن هل ان ذلك يعنى أنه سيعود من جديد لكى يخصص له الرغيف كل صباح ؟ وفكر الخباز أنه لو حرمه من الخبز فهو سيعود حتما الى سابق سيرته لكى يسرقه من الساحة ، وماذا يمكنك أن يفعل عندها ؟ هل سيجرؤ على ضربه وطرده ؟ هو – شئت ذلك أم أبيته – كلب قد شاهد الرب ؟ ولكن ما ادرانى ما وراء كل هذه الاسرار ؟ هى اشياء على جانب ما من التعقيد . اولاً : هل حقيقة ان روح الراهب قد تجلت للكلب خلال الليلة الماضية؟ قد يكون الآخراى حاولا استبلاها ؟ قد يكون الكلب اصبح قادرا على فهم لغة الأدميين ومن يدرى فقد يتكلم هو أيضا فى يوم ما ؟ فى الوضعيات التى يتدخل فيها الرب يجب ان ينتظر الانسان حدوث كل شئ والشواهد على ذلك كثيرة ! اما فى خصوصه هو «ديفانداتى» فقد اضحك منه الآخرين بما فيه الكفاية . لو علمت السنة السوء كل المخاوف التى تحركه ؟

قبل ان يدخل «سابورى» الى منزله مر بالكوخ الخشبى لكى يجد ان كسرة الخبز التى وضعها منذ اسبوعين قد اختفت . قد عاد الكلب اذن ! هو اذن لم يفرط فيها رغم كل النمل العالق بها !

ولكن لما كان اليوم الموالي لم يات الكلب لاختذ الرغيف ولم يأت في اليوم الذي بعده . وذلك ما كان يترجاه «ديفانداتي» . الآن وقد مات «سلفاسترو» فان كل امل في استغلال صداقته قد مات ايضا . اما في خصوص الكلب فمن الافضل ان يتنحى عن طريقه . ولكن الخباز أحس بما يشبه الخيبة عندما دخل الكوخ الخشبي لكي يجد الرغيف حيث تركه .

وبعد ثلاثة أيام كانت مفاجأة حقيقية عندما أبصر الكلب «قاليون» أمامه . كان الكلب يبدو مشردا في الساحة العمومية وسط البرد القارص ولم يكن يشبه في شيء الكلب الذي رآه من قبل من خلال زجاج واجهة المقهى . الآن يبدو متماسكا تماما فوق قوائمه فرغم أنه لا يزال نحيف الجسد الا انه لا يتعثر في مشيته فشعره يبدو ناعما وأذناه قائمتان اما ذيله فزاهى . من ذا الذي اطعمه ؟ نظر «سابري» حوله . كان الناس يمرون في عدم مبالاة كما لو لم يكن للكلب وجود هناك . وقبل منتصف النهار أخذ الخباز رغيفا طازجا لكي يضعه تحت المقعد الخشبي . وأضاف اليه قطعة صغيرة من الجبن . ولكن الكلب لم يات .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

ومع مرور الايام كان الكلب يزداد حيوية وأصبح شعره طويلا وناعما كشعر كلاب السادة . من المؤكد ان بعضهم يطعمه خفية عن الآخرين ، وقد يكون ذلك يحدث مرات متعددة خلال اليوم الواحد . قد يكون هناك من يخشى ان يكون الكلب قد شاهد اشياء كثيرة . وقد يكون هناك من هو في حاجة الى استعطاف الرب بثمان بخس ، كل ذلك دون ان يكون محل سخرية الآخرين . وقد يكون الجميع هنا فكروا في نفس الشيء لذلك يسعى كل بيت هنا الى استدراج الكلب اليه في الظلام لاستجلاب بركته عن طريق الاطعمة اللذيذة التي يقدمها له . قد يكون هذا ما جعل «قاليون» يعزف عن الرغيف بعد ان وجد ما هو افضل ! ولكن لا أحد يتحدث عن ذلك . وحتى عندما يصادف ان يذكر اسم الراهب عرضا اثناء الحديث فالكل يسعى الى التخلص للحديث عن شيء آخر . وما ان يظهر الكلب في الشارع حتى تتجنبه الانظار كما لو كان مجرد كلب ضال من جملة عدة كلاب اخرى تتسبب في تعكير صفو هذا الفضاء . وكان «سابري» يتأكل في صمت كما يحدث ذلك لأولئك الذين يكتشفون ان من

هو أكثر جرأة منهم يسعى الى الاستحواذ على الفكرة العظيمة التي توصوا اليها لكي يستغلها بصورة غير شرعية .

- 13 -

سواء أكان قد شاهد الرب أم لا فبالأكيد ان الكلب «قاليون» كلب غير عادى اذ هو يتنقل فى وقار بشرى ظاهر من منزل الى آخر وهو يدخل الباحات والدكاكين والمطابخ لكي يقف ناظرا الى الناس دقائق طويلة ثم ينصرف بعد ذلك فى صمت . ماذا تخفى وراءهما هاتان العينان الكبيرتان الحزینتان كما يبدو ذلك ، ففي اعماقهما تكمن صورة الرب ! يا لتأثيرهما على الناس فالإيدي تمتد اليه مرتعشة لكي تقدم له قطع الحلويات ولحم الدجاج . وعندما يشبع الكلب فهو يحرق فى عيني كل واحد كما لو كان يقرأ فيهما افكاره .. عندها ينصرف الناس عن الساحة العمومية غير قادرين على تحمل تلك النظرات . القانون فى «تيس» يعاقب الكلاب الضالة بالعصا والحجارة . ولكن فى هذه الحالة ليس هناك من يتجرأ على ذلك .

وتدريجيا شعر الجميع بتواطئهم الجماعى . لكن أيا منهم لم يكن يملك الشجاعة الكافية للحديث عن ذلك ؛ فقد يلتقى الأصدقاء القدامى لكي يبحث كل منهم فى اعماق عيني صاحبه عن اعتراف ما ويكون كل منهم يرجو أن يعثر عند الآخر عن متواطىء معه . ولكن ذلك يتطلب منه التعرى قبل كل شئ . كان «لوسيانى» اللامبالى هو الوحيد الذى يجرو دائما على اجترار نفس الموضوع : «ها هو ذا الكلب الذى شاهد الرب !» كلما رأى «قاليون» ثم يقهقه بعد ذلك غامزا الآخرين . وعادة ما يتظاهر الآخرون بأنهم لم يفهموا قصده . لذلك يسأله أحدهم دون الحاح طالبا الايضاح ، ثم يهز الجميع رؤوسهم فى تعاطف ويغمغم أحدهم : «خرافات ! هذا مضحك ! خرافات عجائز !» . اما الصمت او التجاوب مع سخرية العمدة فقد يكونان فاضحين لذلك يتجنب الجميع المشكل كما لو كان الامر مجرد نكتة ثقيلة . وعندما يحدث ان يكون الفارس «برنارديس» حاضرا فجوابه هو دائما نفسه :

- كلب الراهب ؟ مجرد هراء ! أقول لكم انه من كلاب القرية . منذ سنوات وهو يتسكع فى «تيس» وكنت أراه دائما وكل يوم قرب المخبزة ...

- 14 -

ذات يوم عندما نزل الحباز الى قبوه لاتمام عملية استرجاع الارغفة المعتادة ، وبعد ان رفع غطاء النافذة وشرع فى فتح قاع قفة الخوص وكانت صيحات الفقراء تتصاعد طاغية على صوتى زوجة الحباز ومعاونه اللذين كان يسعيان جهدهما لصد الفقراء وعندما كانت يد « سابورى » الماهرة تتسلل لكى تفتح الطريق للارغفة التى تدافعت فى الكيس ، اذ خيل للحباز فى هذه اللحظة بالذات ان شيئاً ما اسود اللون يتحرك فى القبو . التفت الحباز . كان الكلب هناك . كان « قاليون » واقفا قرب مدخل القبو يراقب المشهد فى صمت وهدوء . عيناه كانتا تبدوان متوهجتين . وذلك ما جمده الدم فى عروق « سابورى » . نادى الحباز الكلب فى رقة وتودد :

- قاليون ... قاليون ... هيا تعال ... خذ ...

ورمى اليه برغيف صغير لكن الحيوان لم يعره أدنى اهتمام . ثم استدار فى تمهل كما لو كان قد رأى ما فيه الكفاية وانطلق مع السلم . وما ان وجد الحباز نفسه وحيداً حتى أطلق سيلاً من الشتائم الساخطة .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

- 15 -

من يدري ما هى الاسرار التى تجلت للكلب الذى شاهد الرب وتشمم عبيره؟ ينظر الكل الى بعضهم ينتظر كل منهم العون من صاحبه . ولكن الصمت يلزم الجميع . «لو ان أحدا منهم قرر فى نهاية الامر فتح فمه ... ماذا لو كان الامر مجرد وهم ؟ ماذا لو كان الآخرون لم يفكروا فى الامر حتى مجرد التفكير ؟ » وفى النهاية قرر الحباز ان يتصرف كما لو ان أى شئ لم يحدث .

كان «قاليون» يتحرك من مكان الى آخر ببساطة عجيبة فهو يدخل الفنادق كما يدخل الاصطبلات ، وهو يظهر فى مكان ما عندما يكون الآخرون لا ينتظرون ظهوره هناك . يقف جامداً يحرق فى الشخص ثم يتشممه بعد ذلك . يحدث ذلك فى النهار كما يحدث اثناء الليل عندما تكون الكلاب الاخرى نائمة . يظهر شبحة على حين غرة قرب جدار أبيض اللون . يكون يتحرك بهويته المتهادية

التي تميزه تماما كما هي مشية الفلاحين . هو اذن بلا منزل يعود اليه ؟ بلا ماوى ؟

اصبح الناس لا يحسون ابدا بخلوتهم حتى عندما يكونون فى منازلهم وتكون كل الابواب موصدة . هم يتصنتون دائما لاقل حركة على العشب . اقل مشية حذرة هادئة على بلاط الشارع . اقل نباح بعيد .. هاو ... هاو ... هاو ... هاو ... يمكن ان يكون « قاليون » صوت نباح متفرد . لا هو بالاجش ولا هو بالفاضب . ومع ذلك يسمع فى كل جنبات القرية .

- ليكن ... هذا لا يهم ... قد اكون انا المخطئ فى حساباتى .

هكذا كان الوسيط التجارى يتخاصم مع زوجته من اجل دريهمات قليلة .

- باختصار . سأنسى كل شئ هذه المرة لكن فى المرة القادمة ...

هكذا كان « فريجيميلسا » صاحب القرن العالى يتوعد عامله .

- فى الواقع . عندما يفكر الانسان جيدا يجد انها امرأة طيبة ...

هكذا ختمت « مدام بيرالز » حديثها مع صاحبة الدكان عن زوجة العمدة .

هاو ... هاو ... هاو ... تردد نباح الكلب الضال . قد يكون ينبع على كلب آخر او على شبح ما او فراشة او يكون ينبع للقمر او من اجل شئ رآه او فهمه كما لو كانت اسرار الناس تخترق الجدران وتجتاز الطرق والحقول لكي تصل اليه .

يعتدل السكارى الخارجين من الفندق بعد ان وقع طردهم من الحانة غريزيا لمجرد سماعهم لذلك النباح الاجوف .

ظهر « قاليون » على حين غرة فى ذلك الفضاء الضيق الذى يسكنه المهندس « فادريسي » عندما كان الاخير غاطسا فى كتابة رسالة من مجهول يعلم فيها عرفه صاحب معمل العجين ان المحتسب « روسى » يتعامل سريريا مع عناصر هدامة . نهض « فادريسي » متظاهرا بالركة لكي يشير للكلب الى اتجاه الباب دون ان يجروا على مواجهته بشتائمته التى كانت تفص بها حنجرتة .

– هيا ... كن طيبا ... هيا انصرف ... انصرف !

ثم الصق «فادريسي» اذنه بالباب لكي يتأكد من انصراف الحيوان ...
ثم – وفي النهاية لمزيد من التحرى – القى برسالته فى النار .

بمحض الصدفة ظهر «قاليون» عند أسفل السلم الذى يقود الى مسكن «فلورا» الجميلة جدا والطائشة جدا . كانت الساعة متأخرة جدا ، ولكن درجات السلم الخشبية كانت تثن تحت أقدام «قيدو» الجنان وهو أب لخمسة أبناء . هكذا لمعت العينان فى الظلام وغمغم الرجل بصوت عال كما لو ان أحدهم قد أهانه : « يا للشيطان ! حتى هنا ؟! فى ظلام مثل هذا يمكن ان يخطئ الانسان طريقه فهذا ليس منزل القاضى ... » ثم نزل الدرج فى عجلة ظاهرة .

يصدر النباح الاجوف فى شكل جزر وعتاب رقيق عندما يدخل «بيننى» و «قيونفا» مستودع الاشغال التى لم تنته . يكون ذلك عندما يضعان أيديهما على دراجتين . يسر «بيننى» لرفيقه دون ان يتراجع عن حركته :

– توفى .. قد يكون هناك أحد ما ؟

– نعم اعتقد ذلك ، يكون من الافضل ان ننصرف ...

ويتسللان فارغى اليدين .

يصدر النباح فى شكل تاوه كما لو كان صرخة استرحام عند باب المخبزة يكون ذلك عند الفجر وبالضبط عندما يكون «ديفانداتى» قد ادار المفتاح دورتين فى الباب ونزل الى قبوه لكي يسرق مرة أخرى خبز الفقراء . يصير الخباز اسنانه ويتساءل بينه وبين نفسه كيف يمكن لهذا الكلب الملعون ان يعرف كل شئ . يسعى «ديفانداتى» الى ان يهز كتفيه ليبرهن على عدم مبالاته لكن المخاوف تغزوه . ماذا لو امكن لهذا الكلب ان يفضحه ؟ كل هذا الارث يتبخر ... ويصعد الخباز الى مخبزه بكيسه الخاوى تحت ذراعه .

متى ينتهى هذا العذاب ؟ ألن يذهب هذا الكلب الى مكان آخر ؟ اذا كان سيبقى هنا فى «تيس» فكم يمكنه ان يعيش من السنوات ؟ أليس هناك طريقة للتخلص منه ؟

الشيء الثابت الآن هو ان الكنيسة قد اكتظت بالناس بعد قرون من عدم المبالاة فالعجائز تلتقى هناك اثناء قداس الاحد وطبعا لكل منهن مبرراتها :

- كما تعلمن ذلك فمع كل هذا البرد الشديد يكون المكان الوحيد الذى لا يتسرب اليه البرد هو الكنيسة فجدرانها سميكة بما فيه الكفاية لذلك هي تشع اثناء الشتاء الحرارة التى تشربتها طوال الصيف .

- اواه ... ان القس «تابيا» الطيب قد وعدنى ببذور الزهور اليابانية وكما تعلمن فهى ذات لون اصفر نادر ... لذلك اجدنى مضطرة الى الظهور هنا فى الكنيسة فهو - كما تعلمن - صارم مع الآخرين بشكل يمكنه معه التظاهر بنسيان وعده ان لم يرنى هنا .

- ارجو ان تفهمينى يا «مدام ارمينيا» فانا أسعى الى تطريز مثل تلك الحاشية التى تزين كسوة المذبح وبما أنى لا أستطيع أخذها معى لكى أنقل عنها فانا آتى الى هنا لكى ادرسها عن قرب ... أرجو أن تصدقينى ان ذلك ليس بسيطا .

يتظاهرن بالانصات ، تبتسم كل منهن للمبررات التى تقدمها صاحباتها ثم تهتف احداهن :

« اواه ... « دون تابيا » ينظر فى اتجاهنا ! » وتلكز كل منهن صاحبتها ثم تدفن كل منهن وجهها فى كتاب الصلاة .

ما من واحدة منهن تأتى دون عذر مقبول فمثلا «مدام ارمينيا» التى تريد ان تعلم ابنتها الانشاد لشدة تعلقها بالموسيقى لم تجد غير عازف الارغن لكى يعلمها وهى لا تأتى الا لكى تسمع ابنتها ترفع عقيرتها بـ «شكرا للرب» أما الغسالة فهى مضطرة الى التواعد مع امها فى الكنيسة لان زوجها قد منع

حماته من دخول منزله • وحتى زوجة الطبيب فهي هنا اذ انها عندما كانت تجتاز الساحة العمومية اذ التوت ساقها • وكان ذلك لدقائق قبل بداية القداس فرأت ان تدخل لكي تستريح قليلا •

يجلس الرجال عند الاجنحة الجانبية للقاعة قرب زاوية الاعتراف المغبرة وحيث العتمة كما لو كانوا على الجمر • ومن مقعده كان «الدون تاييا» يرسل نظراته المندهشة دون ان يقدر على التعبير ودون أن يجد تفسيراً لما كان يحدث • أثناء ذلك كان «قاليون» يتمتع جسده في الساحة الامامية للكنيسة بأشعة الشمس • كان يبدو كمن منح لنفسه تلك الاستراحة بعد التعب المفضى •

خرجت النسوة بعد انتهاء القداس متسللات في عجلة لكي تنصرف كل منهن في اتجاهها • أما «قاليون» فلم يتحرك • كان هناك يرمق الجميع في حنان لكن احدهن لم توله ادنى اهتمام رغم أن كلا منهن لا تتخلص من شعور الضيق من نظراته المرشوقة في عجزتها كالسهم الا عندما تنعطف مع زاوية جدار الكنيسة •

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

- 17 -

أصبح كل شبح كلب مهما كان الشبه بينه وبين «قاليون» ضعيفا يبعث الرعشة في جسد كل واحد من سكان المدينة • وأصبح الجميع يعيشون في تشنج دائم فما ان يتجمع بعضهم في الشوارع أو في السوق أو أثناء الجولات المسائية الا كان الكلب حاضرا • وكان يبدو كما لو كان يسخر من التجاهل التام الذي يواجهه به الجميع ولكن ما من أحد منهم قابله على انفراد الا وناداه بكل الاسماء الرقيقة وحباء بالحلويات والطيبات •

يحدث ان يعلق أحد الرجال : « آه لقد كنا في نعيم ! » هكذا بتعميم شامل دون أن يوضح اكثر مما فعل ، ولكن الجميع يكونون يفهمون ما يعنيه فالماضي يكون يعنى دون أن يحتاج الانسان الى تحديده العربية والجري وراء الصبايا في الحقول وحتى السرقة من حين لآخر بالاضافة الى كل ما يخطر على البال ثم بعد كل ذلك التمدد في الفراش صباح الاحد حتى حد منتصف النهار •

أصبح الباعة الآن يلفون مبيعاتهم فى ورق خفيف ويتجنبون تطفيف الميزان . أصبحت ربة البيت لا تعاقب خادمتها . أما «كارمن اسبوسيو» الذى يستدين منه الآخرون بالربا فقد حزم أمتعته لكى يبحث عن حظه فى مكان آخر . هكذا كان الشرطى «فيناريالى» يقضى يومه ممددا فى الشمس على مقعد أمام باب المركز فهو يموت ضجرا ويتساءل بينه وبين نفسه هل ان كل اللصوص قد ماتوا ايضا فلا أحد اليوم يتسلى بشتم الرب كما كان ذلك يحدث من قبل وحتى عندما يحدث ذلك فانه لا يتم الا هناك بعيدا بين الحقول ، وبعد ان يتأكد الانسان انه لا كلب يختفى وراء الاشجار .

ولكن من هو ذا الذى يستطيع ان يعلن ثورته ؟ من ذا الذى يستطيع ان يطرد «قاليون» او يدس له قطعة لحم مسمومة للتخلص منه كما هى الرغبة التى فى اعماق كل واحد هنا ؟ حتى الحكمة الالهية لا يمكن للانسان ان يترجاها اذ ان هذه الحكمة المقدسة التى لا تتناقض مع نفسها لن تكون - بلا شك - الا فى صف «قاليون» لذلك يكون من الافضل ان يفوض الانسان امره للصدفة . تهيأت هذه الصدفة ذات ليلة عندما هبت عاصفة كثيرة الصواعق والبروق كما لو كانت نهاية العالم . ولكن الخباز «ديفانداتى» لم يكن قد فقد دقة سمعه اذ رغم قعقة الرعد امكنه ان يتبين حركة غريبة فى الطابق السفلى من منزله مما جعله يتصور وجود لصوص فى الساحة الخلفية . قفز «ديفانداتى» من فراشه وأخذ بندقيته فى الظلام ثم حاول تبين ما فى الخارج من خلال فتحات مصراعى النافذة . خيل له أنه يرى رجلين يعالجان باب المخزن . مكثه وميض البرق من تبين كلب أسود اللون ضخمة الجثة واقفا وسط الساحة دون ان يعير كبير اهتمام للمطر الغزير المتهاطل . كان هو نفس الكلب الملعون جاء لكى يثنى عزم اللصين .

صدرت عن «ديفانداتى» شتيمة مقذعة ثم ادخل رصاصة فى البندقية ورفع الزناد ، وفى تمهل وحذر فتح احد مصراعى النافذة بما يكفى لتمرير ماسورة البندقية وانتظر ومضة اخرى من البرق لكى يسدد بندقيته فى اتجاه الكلب . ضاعت الطلقة الاولى وسط قعقة الرعد وصاح الخباز :

— الى السارق ... الى السارق !

ثم ادخل رصاصة اخرى فى البندقية واطلق النار مرة اخرى فى الظلام ...
سمع صوت خطوات متسارعة تبتعد ثم امتلات الدار بالاصوات وفتحت الابواب
لكى تظهر زوجته وابناؤه ومعاونوه مضطربين . ارتفع صوت من الساحة :

— يا سيد « ديفانداتى » ... لقد قتل « ديفانداتى » كلبا ...!

كان هو « قاليون » نفسه . فى ليلة مثل هذه يحدث ان يخطئ الانسان .
ولكن هذا الكلب يشبهه كثيرا . كان « قاليون » ممددا متصلب الاعضاء وسط
بركة من ماء المطر . اخترقت الرصاصة جبينه مما جعل موته يتم فى الحين .
لقد سكنت حركته تماما .

عندما نزل « ديفانداتى »، لم يفعل ذلك لكى يتأمل الكلب، بل فقط لكى يتأكد
من أن باب المخزن لم يقتحم . لما تأكد من أن كل شيء على احسن ما يرام تمنى
ليلة سعيدة للجميع وعاد الى فراشه : « واخيرا ! » . قالها بينه وبين نفسه
واستعد لكى ينام نوم العادلين لكن لم يغمض له جفن .

ARCHIVE

— 18 —

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

لما كان الغد حمل معاونو الخباز جثة الكلب اثناء الليل الى حقل قريب
لدفنه .

لم يتجرا « ديفانداتى » على ان يطالبهم بكتمان الامر اذ ان ذلك يثير فضولهم
وقد كان فى حاجة الى ان يتم الحدث بصورة عادية جدا ودون مهاترة .

من ذا الذى نشر الخبر ؟ كل ما أمكن ان يلاحظه الخباز لما ذهب الى المقهى
مساء هو ان الرواد كانوا ينظرون اليه مليا ، لكن الانظار كانت تحاول ان
تتجنبه كلما حاول مواجهتها كما لو ان اصحابها كانوا يخشون اثارته .

قال الفارس « برنارديس » فجأة :

— اذن لقد كانت هناك طلقات نارية الليلة الماضية ؟ يا لها من معركة
كانت عند القرن ؟

اجابه «ديفانداتى» بصوت ساخر :

- من يدري عنهم شيئا هؤلاء الانذال . كانوا ينوون سرقة مخزنى ...
الجبنة لا حياء لهم ! لقد اطلقت النار مرتين دون تصويب فهربوا ...

تساءل «لوسيانى» مركزا على كلماته :

- دون تصويب ؟ ولماذا لم تصوب جيدا يا ترى ؟

- مع كل تلك الظلمة ؟ كيف تريدنى ان ارى شيئا ؟ لقد سمعت صوت احتكاك على الباب السفلى فاطلقت النار معتمدا على الحظ ...

- وهكذا ... وهكذا ارسلت الى العالم الآخر ذلك الحيوان المسكين الذى لم يتسبب لك فى اى ضرر .

- آه ... نعم لقد حدث ذلك ... لقد أصابت الرصاصة كلبا ما ...
ما زلت لم أفهم كيف تمكن من الدخول اذ انى لم املك كلبا ابدا ... !

ثم ران الصمت . كان الجميع ينظرون اليه . اتجه «ثريفاقليا» صاحب المكتبة الى الباب قائلا :

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

- حسنا ! الى اللقاء ايها السادة .

ثم أضاف ضاغطا على الحروف :

- الى اللقاء يا سيد «سابورى» ..

- لى الشرف يا سيدى (اجابه الخباز مديرا له ظهره) .

ماذا يعنى هذا الغبى ؟ هل أنهم لمجرد الصدفة اتفقوا على عدم التسامح معه
لانه قد قتل كلب الراهب ؟ كان يجب ان يكونوا ممتنين اليس كذلك ؟ لقد
خلصهم من كابوس وهامهم يقاطعونه . ماذا اصابهم ؟ الا يمنكهم ان يتصرفوا
على سجيته ولو مرة واحدة على الاقل ؟

كما اعتاد «برنارديس» ان يفعل فقد رفع القناع قائلا :

- كما ترى يا «ديفانداتى» ... هناك من يرى انه كان بإمكانك تجنب
قتل هذا الحيوان .

– ولماذا هذا ؟ هل تظن انى قد قتلتة عمدا ؟

– عمدا أم لا ، كما ترى فهو – كما يدعون – كلب الراهب ... وما يدعونه
لست فى حاجة الى الانصات اليه فهم يقولون ان ذلك سيجلب لنا المتاعب
جميعا ... أنت ادرى بالسنة السوء هنا ...

– وكيف تريدنى أن أعرف انه كلب الراهب ؟ يا للرب ... قد يكون
هؤلاء الاغبياء فى حاجة الى تقديمى الى المحاكمة ؟

حاول ديفانداتى ان يختم كلامه بـ «لوسيانى» قاطعه :

– قليلا من الهدوء ... قليلا من الهدوء ايها الاصدقاء ... من ذا الذى
يدعى انه كلب الراهب ؟ ... من اطلق هذه الاشاعة ؟

هز «ديفانداتى» كتفيه قائلا :

– آه ... ما داموا هم أيضا متأكدون من ذلك !

تدخل الفارس :

– ان من يدعى ذلك هم اولئك الذين كانوا حاضرين عند دفنه ... هم
يؤكدون انه كلب الراهب . له نفس خصلة الشعر البيضاء التى تعلو الاذن
اليمنى .
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

– وبقية الجسد اسود تماما ؟

– نعم اسود تماما ... (اجاب صوت من الجمع)

– ضخمة الجثة ؟ بذيل كثيف الشعر ؟

– تماما !

– باختصار هو كلب الراهب ؟

– تماما ... هو كلب الراهب !

صاح بهم «لوسيانى» مشيرا الى الطريق :

– اذن ... انظروا اليه كلبكم هذا ! لم يكن فى يوم ما اكثر حيوية
مما هو عليه الآن .

شعب وجه «ديفانداتى» حتى أصبح كالتمثال . كان «قاليون»

يتمشى وسط الطريق بنفس الخطوة الهادئة • توقف برهة أمام بلور واجهة المقهى • نظر فى اتجاه الرجال المتجمعين ثم واصل طريقه بكامل الهدوء •

- 19 -

لماذا خيل للفقراء ان الخبز الذى يفرق عليهم كل يوم قد ازدادت كميته ؟ لماذا اصبحت رنات النقود تصدر طوال اليوم عن تلك الصناديق التى توضع فيها الصدقات بعد ان كانت خاوية سنوات وسنوات ؟ لماذا اصبح الاطفال يبدون استعدادا اكبر للذهاب الى المدرسة بعد ان كانوا يهربون منها ؟ لماذا اصبحت عناقيد العنب تبقى معلقة فى اغصانها حتى موعد بيعها دون ان تمتد لها يد ما ؟ لماذا اصبحت حلبة «مارتينو» المسكين لا تتلقى الحجارة وضربات العصا كما كان الشأن من قبل ؟ لماذا يحدث كل هذا واشياء اخرى ؟ لا أحد يستطيع أن يشرح ذلك فسكان «تيسر» بعنادهم وقدرتهم على الصمت لا يتركون الحقائق تتجاوز شفاههم : «كلهم يخاف كلبا ما • لا يخشون الكلب لانه سيعضهم بل قد يكون ذلك لان الكلب قد يخطئ فى حقهم •

لم يكن «ديفانداتى» قد استسلم بعد • يا لها من عبودية ! لم يعد فى مقدور الانسان ان يتنفس بحرية حتى اثناء الليل • والآن لقد اتضح - ولو لمرة واحدة - ان الرب ليس مجرد حكاية بسيطة او خرافة • فهو لا يجلس نفسه فى الكنيسة بين الشموع والبخور بل يتنقل من مكان الى آخر ومن بيت الى آخر - كما يدعون ذلك - فى صورة كلب • قبس ضعيف من الخالق ، نفس ضعيف منه دخل جسد «قاليون» وهو من خلاله يرى ويلاحظ ويقيم كل شئ •

متى سيشيخ هذا الكلب ؟ لو أمكن أن يدركه وهن الشيخوخة لاستقر فى ركن هادئ تحت ثقل السنين وعندها لن يتسبب فى خلق المتاعب فى حياة الآخرين •••

هكذا مرت السنوات دون ان يقل اكتظاظ الكنيسة طوال أيام الاسبوع ولم تعد الصبايا تتسللن من البيوت بعد منتصف الليل لكى تتفسح مع الجنود •

عوض «ديفانداتى» قفة الخوص المهترئة باخرى جديدة دون أن يصنع الباب السرى فى أسفلها • صنع الشرطى «فيناريالو» لنفسه مخدة من القش لكى

ينام بصورة افضل عند باب مركز الشرطة . مرت السنوات وشاخ «قاليون» تقلت خطاه الى ان جاء اليوم الذى جمد فيه شلل اصاب نصفه الخلفى خطواته مما حبسه عن الحركة . ولسوء الحظ أن ذلك أصابه عندما كان عند الساحة العمومية حيث تنحدر الطريق بشدة فى اتجاه الوادى . كان الموقع ممتازا من وجهة النظر الصحية اذ انه يمكنه من التخلص من فضلاته اسفل الجدار قرب كومة التراب وحيث تنمو الحشائش وتتكاثف دون ان يتسبب ذلك فى تلويث الجدار او الساحة ولكن الموقع كان مكشوبا لرياح كل الاتجاهات ولا شىء يحمى الحيوان من المطر .

هذه المرة أيضا لم يبد أى كان اهتمامه بالكلب الذى كان يعوى مرتعشا بصوت يقطع نياط القلب . ولم تكن سكرات الموت التى يعانىها كلب ضال فى يوم ما مشهدا يثير الشفقة . يتصور الناس الذين يراقبونه ما يعانىه من خلال عوانه وهو ما خلق الامل مجددا فى اعماقهم . الآن أصبح الكلب غير قادر على التسكع ولم يعد باستطاعته ان يتحرك ولو مترا واحدا . وأكثر من ذلك أصبح كل واحد يخشى أن يعطيه اى شىء للاكل تحت انظار الآخرين . من ذا الذى هو على استعداد لكى يفضح علاقته السرية بالحيوان ؟ من ذا الذى يرغب فى ان يصبح محل سخريه الآخرين ؟ نتيجة كل ذلك تجدد الامل قويا فى ان يموت «قاليون» جوعا . عند المساء وقبل الرجوع الى منازلهم يحدث ان يتفسح الرجال وسط الساحة العمومية . يكونون يتحدثون عن أشياء كثيرة كمساعدة طبيب الاسنان مثلا أو الصيد أو ثمن الخشب أو الفيلم الاخير الذى يعرض الآن فى «تيس» وتكون اطراف جمازاتهم تمسح خيشوم الكلب الذى يتجاوز وسط لهائه - طرف الجدار بقليل . وتتجاوز الانظار الكلب المقعد لكى تستقر على مشهد الوادى تحت أشعة الغروب . كانت الساعة الثامنة مساء عندما تجمعت السحب الدكناء من جهة الشمال ثم بدأت السماء تمطر وأقفر الساحة العمومية .

رغم تواصل المطر ورغم تقدم الليل الا أن أشباحا ما كانت تتحرك ملاصقة للجدران تنشد غاية ما . كانت هذه الاشباح وسط ظلمة البوابات ومداخل المنازل فى انتظار الفرصة المواتية . فى ساعة متأخرة مثل هذه لا تصدر المصابيح الا اضواء ضعيفة غير قادرة على اكتساح عتمة اجزاء واسعة من الساحة . كم كان عدد تلك الاشباح ؟ قد تكون عشرات . كل منها جاء يحمل

للكلب قوته وكل منها يهون الغالي والرخيص من أجل ان لا يتعرف عليه الآخرون . لم يكن الكلب نائما . كان عند قاعدة الجدار متمما للديكور المظلم للوادي مجرد نقطتين خضراوين مضيئتين . ومن حين لآخر كانت تصدر عنه أنة قصيرة متقطعة يتردد صداها في الساحة .

تمر الاشباح المقنعة الواجد بعد الآخر لكي تضع شيئا ما عند جدار الكنيسة تاركة فيما بينها الكفاية من الوقت لكي لا يحدث اللقاء غير المرغوب فيه . ولما جاء الصباح كان «قاليون» نائما تحت غطاء واق من المطر وعلى الجدار بالقرب منه تتكوم كل الهبات الربانية من خبز وجبن ولحم بالاضافة الى صحيفة اللبن.

- 20 -

خيل للقرية أنها أصبحت قادرة على التنفس بارتياح ما دام الكلب قد شل تماما ولكن ذلك كان مجرد وهم فمن أعلى الحائط القصير الذي كان جاثما عنده كان الكلب يشرف على جزء كبير من المنازل وبذلك الشكل كان نصف مدينة «تيس» يقع تحت مراقبة نظرائه . الرب وحده يعلم كم هي نفاذة تلك النظرات وحتى تلك المنازل الخارجة عن نطاق نظراته والواقعة خارج المدينة كانت تخضع لصوته الذي يصلها في تمام الوضوح . والآن هل في امكان الانسان ان يسترجع سابق عاداته ؟ ذلك يعنى ان الناس هنا قد غيروا نمط حياتهم تحت تأثير وجود الكلب وهو ما يمثل اعترافا بسر حاول كل منهم الاحتفاظ به بحرص ولسنوات عديدة . حتى «ديفانداتى» الذي كانت مخبزه تقع خارج نطاق المنطقة التى تخضع لمراقبة نظرات «قاليون» لم يتجرا على العودة الى شتائه الشهيرة ولم يحاول من جديد استرجاع ارغفة الخبز .

أصبح الكلب الآن يأكل أكثر من قبل وبما انه لا يقوم بأى حركة فقد أصبح سميئا كالخنزير وذلك ما مكنه من حياة اطول .

ومع رجوع أيام البرد الاولى تجدد الامل فى امكانية موت الكلب . فرغم ان المعطف الواقى من المطر يحميه بشكل جيد الا انه كان دائما عرضة لتأثير الرياح مما قد يمكن منه بعض الامراض .

ومرة اخرى يتدخل «لوسيانى» لكي يحطم كل الآمال ، فذات ليلة عندما كان فى الفندق يتحدث عن الصيد اذ جره الحديث الى كلب الصيد الذى كان يملكه والذي انتهى مكلوبا بعد ان قضى ليلة تحت الثلج مما دفع «لوسيانى»

الى الاجهاز عليه بطلقة من بندقيته . ثم يحكى «لوسيانى» كيف أنه لا يستطيع الا أن يتألم عندما يتذكر ذلك الكلب . وهنا يتدخل « برنارديس » لكى يحول مجرى الحديث الى الكلب الآخر :

- وهذا الكلب القذر الجاثم هناك ... هذا اللقيط المقعد تحت سور الكنيسة يتخمه بعضهم وان كنت لا ارغب فى ذكر اسمائهم هنا بما يحملونه اليه .. يا لهم من حمقى ... الا يمكن ان يمشل خطرا ما هو أيضا ؟ على كل أتمنى ذلك اذ انه فى حالة كلب قذر مثل هذا ... ويتدخل «ديفانداتى»
- اواه ... فى امكانه ان يكلب ان كان فى حاجة الى ذلك ففى جميع الاحتمالات لن يكون قادرا على الحركة .. يتدخل «لوسيانى» :

- ومن ادراك ... ألا تعلم أن داء الكلب يضاعف من قوى الكلب ؟ انى لا استغرب أن أراه فى يوم ما يقفز كالجدى .

ARCHIVE

لم يجد «برنارديس» ما يعلق به .
- اذن ... وفى هذه الحالة ؟

- اواه ... انا لا اغير كبير اهتمام لذلك فبقربى دائما صديق اعتمد عليه واخرج «لوسيانى» مسدسا ضخما من جيبه . عاق « برنارديس » على حركته :
- طبعا فافت لا صغار لك ... لو كان عندك ثلاثة أطفال مثلى لما استهنت بالامر .. أوكد لك ذلك !

- لقد بصرتكم بالامر وما عليكم الا تدبير وضعكم .
وشرع العمدة فى تلميع ماسورة مسدسه بتمريره على كم ثوبه .

- 21 -

كم مرت من السنوات على موت الراهب ؟ ثلاثة ، اربعة ، خمسة ، من يستطيع ان يتذكر ذلك ؟ ومع بداية شهر نوفمبر كان الماوى الخشبى الذى سيحمى الكلب على وشك الانجاز . وقع الحديث عن ذلك المشروع اثناء اجتماع المجلس البلدى بكثير من الاستهانة . وكان الحدث لا أهمية له . وما من أحد اقترح حلا آخر اكثر بساطة كقتل الكلب مثلا او نقله الى مكان آخر . وقع تكليف

«ستيفانو» النجار بصنع الماوى بشكل يمكن من تثبيته فوق الجدار بعد ان يدهن باللون الاحمر لكى لا يشوه واجهة الكنيسة .

– يا للوقاحة ! يا للغباوة !

هكذا كان كل واحد يصبح فى وجوه الآخرين لكى يثبت لهم ان الفكرة لم تصدر عنه .

اىكون الخوف من الكلب الذى شاهد الرب قد فقد صفة السر ؟

لكن الماوى لم يكتب له ان يوضع فى مكانه اذ حدث ذات صباح عندما كان احد معاونى «ديفانداتى» يمر من الساحة العامة كما اعتاد ذلك كل يوم على الساعة الرابعة لكى يذهب الى مكان عمله اذ ابصر شيئا ما اسود اللون ساكنا عند اسفل الجدار فاقترب منه ، وما ان دفعه برجله حتى انطلق فزعا فى اتجاه المخبزة . تلقاه «ديفانداتى» متعجبا :

– ماذا اصابك ؟ لماذا تجرى هكذا ؟ .

– لقد مات ! لقد مات !

– من ؟ من هذا الذى مات ؟

– هذا الكلب الملعون ... لقد وجدته ملقى على الارض ... كان جامدا كالصخر !

– 22 –

هل بامكانهم ان يتنفسوا الآن ؟ هل بامكانهم ان يطلقوا العنان لفرحتهم ؟ هكذا اذن انتهت هذه القطعة الصغيرة القاتلة ! ... هذا صحيح ولكن الكثير من الوقت قد ضاع منذ وجدت هنا . كيف يمكن استرجاع ما كانت عليه الاشياء من قبل ؟ كيف يمكن الابتداء من جديد ؟ كبر الصغار بعادات مغايرة . لقد أصبح قداس الاحد ورغم كل شيء تسلية للجميع . الآن تبدو الشتائم وسب الرب مستهجنة ومن باب المبالغة .

كان الجميع يتصور حدوث ارتياح عام ولكن ذلك لم يحدث ... وبعد الا يكون فى استرجاع العادات القديمة اعتراف ضمنى بكل ما وقع ؟ ان يكون الانسان قد تعذب طويلا لكى يكتم عاره يأتى لكى يتعزى فى وضوح النهار ...

هل يمكن ذلك ؟ ان يقال عن هذه المدينة انها اشترت سيرتها الحميدة خوفا من كلب ما ، فذلك ما يمكن ان يضحك الجميع حتى خارج الحدود !
وفى الانتظار : اين سيدفن الحيوان ؟ فى الحديقة العمومية ؟ لا ! لا !
يجب ان لا يكون ذلك وعلى وجه الخصوص وسط البلد ! لقد عانى الجميع ما فيه الكفاية ... اذن فى المجارى السفلية ؟

كان التساؤل على وجوه الجميع دون ان يتجرأ أحد على التفوه به .
« هذا لم يأت به القانون ! » هكذا أنقذ كاتب البلدية الجميع من حيرتهم .
فليحرق اذن فى القرن العالى ! وماذا لو تسبب بعد ذلك فى وباء عام ؟ ليدفن بعيدا فى الخلاء ! هذا هو الحل الاصوب . ولكن أين يكون هذا الخلاء ؟ من ذا الذى يقبله فوق أرضه ؟ واشتد الخصام . لا أحد يرغب فيه عنده . ماذا لو دفن قرب الراهب ؟

هكذا وضع الكلب الذى شاهد الرب فى صندوق خشبى صغير وحمل فوق عربة فى اتجاه الهضبة . كان اليوم احدا . وجد الكثير من سكان المدينة مبررا للخروج للفسحة . كانت هناك ستة أو سبعة سيارات محملة رجالا ونساء تسير وراء العربة . كل يسعى الى أن يبدو اكثر بهجة من الآخرين .

بالتاكيد انه رغم أشعة الشمس الا ان الحقول التى مر عليها البرد فترك أشجارها عارية لم تكن مشهدا يبعث البهجة فى النفس .

وصل الموكب الى الهضبة فتوقفت العربات وواصل الجميع المشى فى اتجاه خرائب الكنيسة العتيقة . كان الاطفال يتسابقون فى المقدمة . من أعلى الهضبة جاء صوت أحدهم :

— أماء ! أماء ! تعالى ... تعالى بسرعة ... انظرى !

تسارع الجميع فى اتجاه قبر «سلفاسترو» الذى لم يزره احد منذ يوم الدفن .

هناك اسفل الصليب الخشبى وفوق كومة التراب التى وارت جثة الراهب بالضبط كان هناك هيكل عظمى صغير اتت عليه الثلوج والرياح والامطار فحولته الى عظام نحيفة بيضاء ... كان هيكل كلب .

المؤلف : دينو بوذاتى

تعريب : احمد ممو

الجدار .. والأفق

فكرة وفكرة . زحف متواصل نحو مضيق الافكار .. مشروع ومشروع ، وانحدار سريع فى هوة الفشل والنقمة . سكنت فجأة تلك الاجراس التى كانت تدفعه الى التحرك وتحثه على العمل . صمت اليأس والحسرة يكتنفه . أمام مكتب قديم جلس كالآخرين . يعد الثوانى ، ويختزل الساعات . يرمق الجدران السوداء التى لم يعانقها الطلاء مذ بنيت تعيد له الآهة باستسلام مفجع .

حزن مريع يتضخم فى صدره . يوشك على الانفجار . زوبعة تدمر ولا تبقى .. نهاية المطاف هذه ، أم بداية المعركة ؟

كتب له أن يظل مثقلا من مصلحة الى أخرى ولا يجد مكانه أبدا . متأكد هو أنه لن يجد مكانه ما دام الاوغاد يتحكمون فى المصالح ، ويوزعون الكراسى على من يخدم أغراضهم . أما من بقى ...

تبا للبلد الذى يسيره السفلة ، ويجنى ثماره المتملقون .. كم أصبحت أكرهه وأمقت كل من فيه .. ظلم .. فساد ، وتناحر يسحق كل رغبة شريفة فى الحياة . كل ما يأتون به تافه ، حقير ، كعقولهم ، واهتماماتهم ، ومطالبهم . التافهون يختمون أعين العالم بالشمع الاحمر .

ألقي رئيسه العجوز بحزمة أوراق وملفات أمامه بعجرفة متطرفة ، والنظارات تتدثر شاكية فوق عينيه المجوفتين كمفارتين فى جبل .

« حاول أن تدرس هذه الملفات اليوم ، نحن فى أشد الحاجة اليها . وأنا ذاهب الآن ، إن سأل عنى أحد فقل إنى هنا فى مهمة فى أحد الاقسام . لن أغيب طويلا .. »

ابن الفاجرة .. الدنيا لن تقف بغيابه . الثور يدور . ضربته الظروف على أم رأسه فلا خوف على الساقية . ضرب بيد متمرده الملفات الملقاة على الطاولة . أسرع باللاحاق بالعجوز . مسكه من سترته . أخذ يرجه من كتفيه بعنف أخرس ، والنظارات تتسائل فى هلع دون انتظار الرد الموفق ..

وقف ينظر اليه مبهوتا ووجهه يتقلص جزعا يزيده قبحا ودمامة . كور قبضته واستعد لزجها فى الانف المدد بوقاحة فذة . لكمة عليها تمحى الغل المتراكم فى صدره على البقايا الآدمية المستبدة .

تراجع فجأة ونفحة تبصر تعنفه . ليس هو المسؤول عن ما جرى وما سيجرى . الاوضاع المقلوبة هى المذنبه الاولى فى حقنا ، والنظام الهامشى اللاواعى هو المجرم الاول الذى أطاح برقابنا . لن تحل لكمة مشكله .. « المعذرة .. كنت أريد أن أطلب منك سيجارة .. من الصبح لم أدخن واحدة ، ورأسى ستنفجر » .

حملق فيه بتعجب « أنت تعرف أننى لا أدخن .. » « آه عفوا سأعود الى ملفاتي .. »
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

عاد يرتقى على المقعد فى استسلام موجع . شىء ما يعيقه عن الحركة . ولا بد من حركة تطهيرية ، تنظيمية تعيد الامن الى نصابه .

أحوال تنذر بسكتة قلبية عاجلة . أقلية معينة تشتغل ، والفئة الباقية تكتفى بالمشاهدة واصدار الاوامر . الموظف البسيط أكثر معرفة وثقافة من مديره . الجاهل الوصولى فوق .. المفكر الساعى فى الاسفل .

المهرج فى القمة .. المناضل الصامت فى السفح يروح تحت ركाम المحنة . والمعاناة . لا العمل يعمل ، ولا الموظف فى مكانه ..

أراجوز واحد .. ثان .. ثالث .. رابع .. القسم مملوء بالسواقط . يا للمصالح الحكومية التى غدت ملجأ الايواء العجز ، وفزاعى الطيور .. أما كان الاجدر أن يحالوا على المعاش .. يتركون كراسيهم المحجوزة الى من هم أجدر

بالعمل .. منطق سليم لن يستطيع السير على منهجه غير عقل سليم تقدمى .. لا يركع للانهازية ولا يترك للهامشية منفذا .. كم بت أخشى أن يحمل العجز مقاعدهم معهم الى القبر حتى لا يتركوها بعدهم لاول جالس يستلذها .

ينكب على الملفات بعقل واجم . همهمة العجوز الاعمى الجالس في ركن قصي من القاعة لا تتركه يهدأ . يسعل . يبصق . يرتعش . يعطس . يعود يرتعش يداه لا تستقران من التجديف يمينا وشمالا . الحركة في جنون دائم عنده . خصلات الشعر القليلة في رأسه تتصارع مع الصلعة العريضة المستوطنة جمجمته المستطيلة . القبعة الحائرة الجنسية لا تخفى ما نتفته الايام .

عيناه العمشاوان تتنازعان مع الظلام الزاحف على حفنة النور المتقهقرة .. يرتعش .. الكتاب يتأرجح بين يديه .. يضعه على الطاولة .. يرتعش .. الكتب الصفراء هوايته . كتاب قرآن ، أم كتاب سحر وتنجيم وكيفية استخراج الجان ؟

الاوراق متراكمة على الارض ، فوق المكتب ، في كل مكان . الغبار في الزوايا يرتديه مع الفوضى . فوضى مرسومة متقنة ، والعمل ؟ لا شيء .. دخول وخروج في أوقات ادارية غير منتظمة .. ما يريدون أكثر . نظم معطوبة الفرامل . ادعاءات مزدهرة ، والدنيا بخير .

سحقا لهذه الادارة التي تتعاقد مع فزاعي الطيور .. انتدب منذ عشرين سنة . ونسي في حفرة المكتب المظلم . دفن بين أوراقه وكتبه الصفراء .. دفن !! يا للمدافن العمومية ! لو تلفظ يوما الفواضل البشرية لنهشت الكوليرا المدينة .

نظرة الى الكتاب . أخرى الى الساعة . العيون العمشاء في حرب مستعرة مع الاحرف .. يرتعش أكثر ... السعال لا ينقطع . يسعل . ويسعل . اصبعه لا تفارق . مستقرها في مغارة الانف الافطس . السيجارة تنط بين أصابعه المتخاذلة بجهد مبين يشعلها . انتصار باهر على الرجفة اللعيفة .

حملة الاحالة على المعاش الاخيرة تخيفه . تؤرقه . أهي خطة تطهيرية ، أم تنظيمية ، أم ماذا ؟ اشاعة هي أم حقيقة كما ادعوا ؟ أف من هذا البلد الذي

يبحث عن المتاعب أينما كانت ولا يفتأ كل يوم يأتى بأعمال مقلقة للراحة مدعيا أنها حملة توعية ، أو تنظيم . قرار سيرضى عنه كثيرون خاصة هذا المترفع الذى فرض عليهم منذ أشهر . يشعر نحوه بحقد لحد له ، كأنه افتك من يديه رغيفا .. ومن بدرى ربما افتك حقا منه رغيفا فى يوم قريب . لقمته التى يلهث خلفها . الموت له ولا مثاله . فرحون يرددون الانباء القاتلة ، والاشاعات المزورة ، وينتظرون القرارات النهائية . فرحة اجرامية عاتية . لكن الكلمة الاخيرة لمن ؟ لا من يعرف .. أ يكون ماله كزميله السابق ، ذاك المجنون ، هو الآخر لم يكن شيئا يذكر . كرسى مهمل به جثة كانت فى يوم غابر لآدمى .

سنوات وهو يشير الادارة بجنونه المترف . فى يوم ما دخل القاعة الباردة . لم يجد مكتبه ولا الكرسي الذى اعتاد ان يلقي عليه بجثته . وقف لحظة مبهوتا وفى رأسه تساؤلات تضاجع أفكارا جدباء . نظر الى زميله . طأطا رأسيهما تفتن الى الامر دون جدال . انسحب هو دون تعليق . ذهب الى الشارع يبحث عن مملكته الضائعة . يلقي الحكم ويحتسى الخمر . هناك من يقول : المجنون ، لم لا يجلس فى مستشفى الامراض العقلية . هل نترك المجانين يتجولون فى الشوارع بأخطارهم ؟ وآخرون يقولون : بل هو فيلسوف مجهول له حكم تستحق ان تنقش على الجدران ، موعظة لمن خلا من الحكمة .. وآخرون يضحكون فى إشفاق : مسكين كان شيئا يذكر . ثم المدينة امتلأت بالمجانين لو وضعوا كلهم فى زنزانة مستشفى ، لن نجد بعدها مخلوقا يسير فى الطرقات ..

عقب السيارة يحرق إصبعيه . يلقي به فى نفاضة السجائر المنكسرة التى لم يبق منها الا ربعها « هل تعرف ؟ .. » خمسون سنة عمر هذه النفاضة .. كانت فى حوزة شاعر عظيم ، موهوب ، شاعر فحل ممن يكتبون المعلقات ، يعب من نبع العربية السليمة ، لا كشعراء هذه الايام ، لا يعرفون من الشعر سوى الهذيان السخيف ، والاحاسيس الملفقة .. جيل متذبذب فى كل شىء .. تلك مأساتنا الاجتماعية ..

ما أتعس الشاعر العظيم !! لم يترك خلفه غير نفاضة سجائر منكسرة .

يعود يرتعش كفزاع طيور تتقاذفه الرياح . يرمق الساعة ببلاهة مزمنة . يقف على قدمين احدهما عرجاء ، والاخرى فى طريقها الى العرج . لا يسير على الارض . انما الارض تسير به . يزحف « تشقشق » رجله العرجاء بحذائها البالى على البلاط فى رنة عشوائية متقطعة .

يذهب الى المرحاض . حان وقت الوضوء . يبسمل . يدندن فى سره بأدعية مبهمه . يتوضأ . ثيابه المهلهلة ترشح بالماء . البلاط مستنقع لا تعوزه الا الضفادع . أنفه الافطس سد بخرقه التعود . لا يشتم رائحة البول والاساخ المنتشرة حوله . ينتهى من الوضوء . يعود الى المكتب . يلقي بقطعة من القزدير على الارض وقد جعلت منها الضرورة سجاد صلاة .

يروح فى محاولة أخرى لوقوف . التوازن عنده فى نفور مستمر . قيل له : مرض أعصاب يحتاج الى علاج متواصل . ربما وجد بعده الشفاء ، لكن الامر لا يعنيه كثيرا . العلاج . الشفاء ، لا يخلفان سوى المصاريف والدينارات ، وجشع الاطباء الذى لا يخمد . منذ سنين قرر أن لا يرتكب حماقة الكشف والعدو خلف العيادات الطبية . بل يبقى ينتظر رحمة ربه . جاءت بالشفاء أم لا . تعود هو على حالته تلك . لكن الذين حوله يكلفون أنفسهم مشقة التفكير فى مرضه .. الناس دوما لا يفكرون فى أنفسهم ، إنما أحوال الآخرين هى التى تثير انتباههم ، وتدفعهم لاسداء الراى . لو اهتم كل بحاله لا استوت الامور .. لكن طباع البشر لا تتغير . بدائيون ..

يصلى .. اعتقد مرارا أن الصلاة والادعية المبهمة المتبخضة فى صدره ستبعد عنه احتكاك الفضوليين ، لكن لا شئ . وها هى اللسن تردد ان الادارة عاقدة العزم على حشر أنفها فى خصوصياته . تتذكره بعد السنين الطويلة ، لا لتفعل شيئا من أجله ، إنما لتقدم خدمة للآخرين . حتما لن يضيع حقه . ستصله منحته كما وصلت بانتظام الى زميله السابق المجنون . أمر فيه الكثير من التحدى ..

إشاعات وأقاويل ، أم حقيقة ؟ عصران يتصادمان . وجيلان يتقاتلان بثورة مرعبة . والبقاء لمن ؟ الجديد ، أم القديم ؟ الايام لها الراى النهائى ..

ها هو الزميل الجديد يرمقه بعين متفحصة ناقدة . كم يغيظه هذا المتطفل بأفكاره المترفعة الجريئة ، وأقواله المتحمسة الصائبة . « أليس من اللائق أن تكون الصلاة فى البيت ، أو فى المسجد ؟ أسفى على المصالح الحكومية التعسة . البعض يتخذونها مساجد للصلاة والكتب الصفراء .. آخرون نادوا للتجمع وشرب القهوة وحرق السجائر . أخريات يجعلن منها مطبخا يقطعن فيه

السفنارية والجلبان ، أو يشتغلن بالتريكو .. جهد مبارك والامة فى ازدهار شامل .

تمنى لحظتها لو يقدم حياته مقابل صفقة يقطع بها هذا المغرور الوقع .
«وما دخك أنت أيها الملحد ؟ حق الله أقدمه له فى أى مكان شئت» .

« لو كانت هذه الكتب بها ذرة نفع لقضيت العمر منغمسا فيها علنى ألقى القبض على جن أحارب به الزمن الذى لا يعرف فى جانب من يقف . لكن مشكلتنا أن الكل يعتقد أنه مظلوم . اغتصب حقه . واغتليت معرفته . مع أن الاغلبية لا مكان لها الا فى سلة الزبالة . ما نفع الاشلاء الآدمية » .

« هل ستغير نظام الكون . الكل له الحق فى الحياة .. »

« له الحق فى الحياة ، لا أن يسلب غيره فرصة الحياة » رحمة على الحياة التى أصبحت متحفا يضم أعماجيب البشر . ويأتى يوم أغدو أنا أعجوبة تشد اهتمام الباحثين المتطرفين ، وهواة الاشياء الغريبة . والحل ، كيف ؟ أين يجده . يخشى لو انفجر يوما يحرق الدنيا وما فيها . يزلزل الجبال والديار ، والعمارات الضيقة التى يلصقونها فوق ظهور الاغبياء بآلاف الدينارات ..

الحل تنظم جميع المصالح سوقا بالمزاد العلنى لبيع الحردوات البشرية . من سيفكر فى شرائها ؟ ربما هناك من يهوى جمع قطع الغيار . الاتحاد السوفياتى ، أم الولايات المتحدة ؟

الصمت .. والسير خلف قطع العجز ، إلام ؟ الارجوز الاعرج ، الاعمش لا ينفك يسعل . يبصق . يعطس ، ويرتعش . الدنيا كلها ترتعش فى رغبة الى السقوط على رأسه . لم لا تسقط وتريحه . تنقذه من متحف الحردوات والجثث المحنطة ..

يلقى بثورته على الجريدة . يمزقها . لم يعد هناك سوى الانباء المزيفة ، والاخبار السامة للمزاج .. لا أمل فى النظر الى المستقبل . المهرجون غدوا رسلا يسبح لهم القوم الضالون . الكد والعمل الخلاق مهزلة كبيرة يموت فى شرائقها التعساء ، والاجتهاد والكفاءات ملهاة لا طائل خلفها . الكرة مؤامرات

ونزاعات ، والثقافة هز بطن ورقص مائع يحتكره المتخثثون ، والفن أمسى نعيقا تقدمه البغايا كغناء يبتز إعجاب التافهين وأموالهم درب سهل للعيش الرغيد . ما عداه سم بطى ، يقضى على صاحبه بالافلاس والعدم .

* * *

رسالة كالحة الحلقة يضعها الحاجب فوق مكتبه وينسحب فى سكون . ينشغل لحظة بفتح الظرف . العيون تترصده . منتظرة . متلهفة . حوالة بريدية ، مرتب ثلاثة أشهر ، ورقة بها كلمات متناثرة « نتأسف ، الادارة فى غنى عن خدماتك . لا شغور الآن يسمح بالانتداب . شكرا » .

أحقر وأرذل كلمة سمعها فى حياته . يمزق الرسالة بحوالتها فى يأس مؤلم تلتقى عيناه بالعينين العمشاوين وهما تتبعان حركاته القلقة . يعطس . يبصق . يسعل ، ويرمقه .

يفكر فى الانقضااض عليه والبصاق على وجهه . يتوقف واجما . طنين رهيب يهد أذنيه . ينقلب الوجود بحيرة حمراء تضطرم دما . يفر من المكتب بما بقيت له من قوة . تلاحقه هممة الاراحوز الاعرج « سيدنا يبدو غاضبا . ترى ما الامر ؟ فى الحكاية سر .. »

الغل والضيم يسحقان كل شعور انسانى فيه . يندفع برأسه على الحائط قبل أن يفكر فى العودة ويمسك الهرم من أنفه الافطس الى أن يقتلعه . أو يذهب الى المدير المعتوه ويذبحه بقراره الظالم البعيد عن المنطق والحكمة ، والوعى البناء . لكن لمن يشدو مزمار النظام الواعى ؟ الناس فى غيهم وجهلهم بين عابت ، وانتهازى ، وضارب دف . وضرب الدفوف فن يدر على صاحبه الذهاب فى هذه الظروف العصيبة .

تعود أحداث تلك القصة التى سمعها يوما وما استطاع أن ينساها تلتهم عقله المشوش . حكاية ذلك الملك الذى سلب عقله هوس العظمة . سجن نفسه فى قصره العنيف لا يهمه من أمر الرعية شئ . عاشوا أم شنقوا . أنصفوا أم ظلّموا . يومه يمر بين الحصيان والحوارى . المغنون يصدقون بمواويلهم . الشعراء يقدمون مطامحهم . لا يدخل القصر الا من حمل فى جرابه مدحا أو ثناء . التعلل فى أوج تألقه . والانتهازية فى عز أبهتها .

سكر الملك بخمرة المتعلقين . غامر مرة واجتاز عتبة قصره . ما ان ابتعد عن الاسوار حتى صكت سمعه صرخة لم يألَف الى الآن طعمها . « مولاى الظلم يتفاقم . القوم يحتضرون الا من لفنة رحمة .

صرخ فى عبيده وخصيانه : « الموت للشقى الجرى ، أيتطاول على حكم الملوك ويعكر صفوهم ؟ »

عاد الملك ينغمس فى شعوذة المداحين وقد مات الشقى الجرى فى زنازته الوسخة . احترقت المدينة يوما . أكلت النيران القصر ومن فيه . فر من فر .. وجد الملك نفسه فى الخلاء ، مشوه الوجه ، محطم الاعصاب ، وحيدا مدمرا . هرب المداحون ، والمتملقون وكل المهرجين الذين عاشوا يهرفون بحمد مزاياه . انتصب أمامه وجه لطيف تزينه عيون سوداء جذابة . ابتسمت فى حنو وطيبة وهى تضمد جراحه النازفة . تساءل فى جزع والالم يعتصره « من أنت ؟ أين الجنود ؟ أين الحاشية الخاضعة لعزة سلطاني ؟ أين ؟ » « لا تخف مولاى ، أنا ابنة الشقى الجرى الذى قال لك يوما كلمة حق فقضيت بموته . تركك الجميع . راحوا يقدمون فروض الطاعة والولاء للمستبد الجديد . يمدحون ويضربون الدفوف . انزاح ملك .. عاش ملك .. »

خنقته العبرات . أراد أن يلفظ من فمه كلمة لكنه لم يتمكن من ذلك . كانت نظرة عتاب حزينة ، هادئة تركز فى العينين السوداوين ، تشل الحركة فيه .

سقط رأسه على الارض وقد طارت منه الروح بعد اعتقال جائر كاد يصل الى القرن . أقتله الندم ، أم نظرة معاتبة لطفلة ظلمت ؟ تيار صاعق يرجه بعنف كافر . الظلم سيد هذه الربوع . يسيل دمه . يكسو وجهه ويملا فمه . يسقط أرضا . جسمه يرتعش . هل أصابته عدوى الارتعاش مثل ذلك الاعرج أم ماذا ؟ تمسك بعنانه آهة مريرة . يحاول أن يبصقها مع الدم المنساب من ثغره ، ويبصق معها سنوات من الضنك والمعاناة .

يتصلب فكاه . تموت الحركة فيه . تضمحل الرؤية أمام عينيه . يروح فى إغفاءة منقذة لا مبالية . تتراجع الاحداث فى تخاذل فظيع . فظيع ..

حياة بن الشيخ

راقصة المآثم

كانت وحيدة أمها ، لا يعرف بالضبط هل عافت نفس آلام الزواج ثانية أم كانت تنتظر الزوج المناسب . كل ما يعرف أن كثيرين تقدموا لطلب يدها في سني الترميل الاولى فلم يجدوا منها قبولا . وعندما نضبت منها نضارة الشباب افتقدت الطلب .

كان لا بد من بعض الهمسات والاشارات المبهمة في الاسعار الليلية من أهالي القرية ، لتتضخم بعد لأي فتصبح اتهامات متضاربة ، تختلف من سمر الى سمر ومن مسامر الى آخر ، فهي تارة زوجة مارد من الجن مع أنها لم تصرع ولو مرة واحدة وتارة ترمى بالفجور ، ولم يلاحظ عليها ذلك ولو مرة واحدة . قد تخاطب بعض الرجال بجميع النساء ، فترصم هي بما تكره ويكرهون ، وتنجو الاخريات لمجرد أن لهن بعولا وحماة . أما هي فقد جاء بها زوجها الراحل من الشمال في هجرة طلبا للرزق ، وقد شحت به أرض الجنوب .

كانت تحضر صحبة أمها الافراح في السنوات الاولى من الطفولة ، وتحاكي اللواتي أكبر منها سنا في رقصهن . وسرعان ما فاقت الجميع في ذلك حتى باتت العنصر الذي لا يمكن الاستغناء عنه في مثل هذه المحافل . وكان لا بد أن تكف البنت عن الرقص أمام الرجال لاكتمال أنوثتها ، ولكن حليمة تمردت على ذلك ، وأصررت على الرقص كلفها ذلك ما كلفها . وعبثا حاولت معها أمها وبعض الشيوخ ، وصفعت ، ولطمت ، ومست في عرضها وعرض أمها ، وهددت بالضرب حتى الموت إن هي ركبت رأسها ، وأصررت على عرض رقصها الشيطاني بجسد اكتمل نموه أمام أرهباط من شباب القرية ، فتنتشى نفوسهم فلا يكاد يسعهم المكان رغم رحابته ، وسرعان ما يسيل لعابهم ، وتكاد أبصارهم تخترق ستر شيطانة الفرح .

صارت حليلة الوقود الجديد الذى يسخن بيوت السمار بالقرية ، فهي آية جديدة لما قيل فى الأم . فالبنت لم تكن ابنة الزوج الراحل . عدوا الأيام والأشهر والسنوات للوصول الى نتيجة حسابية مغلوطة من أساسها . فهم يجهلون تاريخ موت الأب المزعوم بالتدقيق ، كما يجهلون تاريخ ميلاد البنت ، وقد يتواصل السمر حتى آخر الليل ، ويعدون الشهور والأعوام ولا اتفاق بينهم . وقد يتنازعون فى تحديد هوية الأب الأصلي للبنت ، التى أصبحت تعد لدى بعضهم « ابنة الحرام » ويذهب البعض الى أن الأم قد زنت قبل موت فقيدها ، وقد نامت حليلة ببطن الأم ولم تستيقظ من سباتها العميق الا بعد موت الزوج ، معللا ذلك بتاريخ من نسيج خياله المجنح ، ومدعى أن الزوج قد باح له فى أحد الأيام بأنه غير مكتمل الرجولة ، فقد عاش امرأة لما كان فى الهجرة بالشمال ولم تنجب منه مع أنه سبق لها أن أنجبت من غيره . وتبرز فى ذهن أحدهم فكرة جهنمية تبرى لها عيناه ، وعندما يلفت الانتباه اليه يصرخ فيهم :

- وان كانت مودة الرجل غير طبيعية .
- ماذا تعنى ؟
- اكتشفت أنها حامل وكانت على علم بعقم رجلها فخافت الفضيحة .
- وكيف ذلك ؟
- نساء الشمال خبيرات بهذه الولايات .
- يا لطيف .

... وتختمر فى تجويف رأس أحدهم « تكرة » أعني فكرة تهزه هذا ، يتململ ، ويجرش أجزاء حساسة من جسده فى غير وعي ، ويعبث بشاريه ، يزيل ما علق بهما من بقايا الشاي ، وتطن الفكرة أعني « التكرة » فى رأسه طنيناً وتهم باختراق تجويفه فتحطمه وتحطم السامرين :

- بل لم تزن إلا بعد موت الزوج .
- كيف وهى لم تنجب البنت الا بعد ستة أشهر ؟
- بل سبعة أشهر والشيطننة « سبوعي » .

- هذا حسابك أنت والحقيقة غير ذلك .
- وما أدراك أن الأشهر ستة وليست سبعة ؟
- وما أدراك أنت بأنها سبعة وليست ستة أكنت أنت الزاني ؟
- أعوذ بالله .

وفي ركن مظلم من المكان يتعالى صدى تنهيدة العجوز تبر ، وقبل أن تتسابق الرقاب لمشاهدة العجوز والتعليق والمداعبة كالعادة ، حتى تحل عقدة لسانها فتنساب في كلام محرج للصبايا عن الزواج وفحولة الرجال وأصنافهم قالت المتنهدة :

- بنت جنون ... بنت شياطين ، اللي يتزوجها ما يموت كان مجنون .

ولاقت كلمات العجوز لدى السامرين القبول الحسن . كانت في الرؤوس خلايا مظلمة فعششت فيها ثم ازدادت سوادا ، ولما اكتملت الرؤية الوحشية ، تحركت الأبصار عبر كل الاركان ، وتغيرت الجلسات ، وعملت الأظافر القصديرية في الرأس عمل المحراث في الأرض ، وانفجرت الشفاه عن أسنان صدئة في معنى الخوف ، مما يسكن في الرأس من سواد التخمين . وضمت إحداهن طفلها اليها وبصوت لا يكاد يسمع وكأنها جزعة من كلماتها ، ولعلها حسبت أن معانيها قد تتجسد فتكتب أنفاسها رعبا :

- اغتصبها الجن وقتل زوجها ؟

- يا حفيظ .

وقالت إحداهن :

- وقبلت هي ذلك ؟

وكان العجوز تبر تنتظر هذا السؤال من إحداهن ، فسرعان ما قالت وهي ترفع نصفها الأعلى ناحية السائلة ، ومشيرة باصبع كالحة :

- بل قولى لعلك اشتهيته لنفسك .

قالت السائلة بكل ذعر :

- بعيد الشر ورجلى مثل الجمل .

قالت العجوز وهى تحملى فى رجل السائلة :

- فلو تزوجنى جن أم حليلة لجررتكن كلكن الى فراشه ، قالت جمل ...
وتعالى الضحك من الجميع حتى كادوا يستلقون على ظهورهم وكأن العجوز
بهزلها قد أنهت السمر فتسابقوا الى الخارج يمسحون دموع الضحك بأطراف
ثيابهم . تعالى سعال أحدهم ، واختنق آخر بلعابه فشرق ، وقال أحدهم :

- عجوز الهم لا يبردلها عظم ...

وغير أحدهم القولة المستحسنة والمضحكة فى العجوز فقال :

- عجوز الهم لا يبارك لها فى عظم .

وغير أحدهم الصيغة عمدا فقال :

- عجوز اليوم يراها تشوم .

وكان أحاديث الأسمار وازع جديد ، بدفع حليلة الى التحدي والتمرد ،
فلا تصغى الى واعظ ولا الى معاتب ، بل تسمعه ما يكره ، وتنفلت من أمامه
وقد علا صوتها حد الزعيق فى نبرات حادة لازعة . كانت تعمد الى كل ذلك
حتى تذيق الويل كل متدخل فى حياتها . كانت ترى فى عيون هؤلاء الرجال ،
شهوة لاهبة لضمها وعناقها ، ويمدون الى إخفائها وهم يفضون من أبصارهم
فجأة بينما كانت نظراتها تحرقهم جرأة . اكتملت أنوثتها فغدت محط أنظار
الجميع واعجابهم ، وهى تتأوى بينهم فى رقص يسابهم ارادتهم فى تغيير
المشهد ، وتتعب الجفون من تحديق يطول ، ويصخبون حتى الصراخ وهم
يحاولون الاتفاق على قرار يزيحها من الحلبة . مع ان نفوسهم كانت تبارك هذا
الحضور وهذا الرقص وتحام بالوصال . كانوا ممزقين ظاهرا وباطنا شر
ممزق .

مانعت الأم أول الأمر بما أصرت عليه ابنتها ، ولما أعيتها الحيلة تركت
الحبل على الغارب ، ولاحظت ما صار عليه حال الرجال من بهذلة غير خفية ،
فالسنتهم مشاكسة ، تخترق حجب الصمت فى عتاب تارة وطورا فى سب

وشتم ، بينما لا يكادون يستقرون على جانب وهم يتفرسون فى موجات الجسد الساحر . وهى لا تزال تذكر صرخة العجوز قائلة :

- إن سراويل الرجال قد ابتلت ، ومن لم يغتسل قبل صلاته فقد خاف زوجته ولم يخف ربه .

ضج الاحتفال ليلتها على صراخ العجوز تبر حتى إن إحدى النساء انطلقت من مجلسها رامية بابنها الرضيع كيفما اتفق وانقضت على الراقصة ملقية بها أرضا . وتعت البنت عن فخزين زادا فى شهوة الرجل ، وأردفت العجوز قائلة :

- وحق سيدى الناصر ، لن يجرؤ أحد على الاقتراب من زوجته بعد أن رأى من الأوراك ما رأى ...

ساموها بما تكره ، تهم لو قيلت فى زوجاتهم لدقوا أعناقهن ، ولو لم تكن لهم براهين على ذلك ، رأت فى ابتتها أداة للانتقام بتسيير من القدر . فليحرق الرجال حرق البراغيث ولتتفجر النساء كمدا وحسرة ، وهن يرين رجالهن يزنون بعيون احمرت من طول السهر

<http://Archive.be>

عبثا حاولت النساء إخلاء حلبة الرقص من حليلة ، ورأى بعضهن أن احتكار حليلة للحلبة هو الذى ضخ شغف الرجال بها ، فعمدن الى مشاركتها ، رغم المعارضة الشديدة من رجالهن ، ودفعن بصبياتهن لأول مرة للحلبة ، عساهن يحطمن أسطورة البنت حليلة . ويطول سجال الراقصات الساعات فيتساقطن إعياء ونوما فى أحضان بعضهن ، ولا يسعهن الا أن يتركن الحلبة للبنت الساحرة التى لا تعرف للاعياء سبيلا . وصرخت العجوز تبر من جديد فى النساء :

- امسكن صباياكن عن الرقص والا زنى بهن رجالكن ...

انقضت ثلاث نساء والشرر يتطاير من عيونهن على ساحرة الرقص ، يجررنها من شعرها ويعفرون عليها التراب ويغرسن أظافرهن فى جسدها ويعضضن ما وصلت اليه أسنانهن ، وكأن العجوز تبر بكلماتها النارية قد رمت

ساحرهن بسهم فبطل تأثيره . جرت النساء الصبايا الى ديارهن ، يتوعدن ويهددن بمقاطعة الافراح التى تحضرها «بنت الشؤم» .

وقالت احداهن بأعلى صوتها :

- لا يوجد فى القرية رجال .

فأجابتها العجوز تبر فى نبرة بين التهكم والنقمة :

- بل هم كثيرون ولكن ما قدرتن على إطفاء شهوتهم .

وقالت أخرى وهى تلتف بلحافها وتجر صبيبتها جرا .

- ارجموا هذه الساحرة ومن يقبلها فى داره ...

وفى جراءة عجيبة وفريدة لا تقدر عليها إلا تبر العجوز قالت :

- لو عرفت كيف تملأن عيون رجالكن ، لهانت ، ولكنكن لا تقزين ولا

تتعطرن إلا فى عرس أو ختان ، ولو كان لرجالكن ما فعلتن ، إن الرجال لا يشتهون بأوساطهم فقط ولكن بأعينهم وبأنوفهم ...

وجن جنون الرجال وكاد أحدهم يصفع العجوز الشرارة التى لا يلجم لها لجام ، ولكن للعجوز حماة من أبناء كالجمال لن يقفوا مكتوفى الأيدي لمثل هذه الافعال مهما كانت الدوافع . وسرعان ما أقفر المكان .

باتت القرية ليلتها تهذي بحمى الحدث . البنت حليلة مبعث الانتشاء والاحساس بالمتعة ، والخيالات المجنحة فى دروب الوصال ، والانسلاخ من القيود المكبلة للنفس التى لا تفتأ تنشد الحلود فى اللذة ولا شئ غير اللذة . رغم حقد النساء على البنت ، فكن يرين فيها أنفسهن ، ويعلمن أن رجالهن قد تصاعدت شهواتهم الى حد الانفجار والجنون ، وعندما سيختلين بهن ستكون لهن ثمرة ذلك الانتشاء وذلك الجنون . ولكن عندما يتذكرون أن أزواجهن لا يرون فيهن غير الساحرة حليلة تصيبهن حمى الفتك بالبنت واستئصال مؤشرات اللذة . صرخت العجوز تكشف ما بأنفسهم وتفضح مشاعرهم ، وكأن الصارخة تقرأ صفحات ما يبطنون ، وتهتك أسرار المضاجع ، فلا يعبؤون بها ساعة الهزل وقد يستغرقون فى ضحك هستيرى وهم يرددون :

- عجوز لهم لا يبردلها عظم .

- عجوز اليوم يراها تشوم .

وإذا غابت الابتسامات وزعزعت النفوس ، فالصرخات تصبح وقودا لتضخم اللهب .

باركت أم حليلة الحدث ، وتنبأت بزلزال يخسف الارض خسفا فلا يبقى ولا يذر . ولعلها رأت فى ابنتها إحدى القدر العاملة فى الحفاء ، ورأت فى صرخات العجوز تبر الهشيم الذى يزيد الحريق سعيرا .

لازمت حليلة الدار أياها لا تبارحها ، كدن يمزقن منها الجسد ، ورأت فى عيني أمها بعض الارتياح مع بريق هو الى الوعيد والحقد الأعمى أقرب .

نمت فى صمت البيت الرهيب ، لا تكاد الأم تزور أحدا ولا هى تزار . فى أعين القرويين يسطع ذلك البريق الخاطف ، المترجم عن ارتباك عفوى ضخمته الأيام الى نفور ، مصحوبا بغض للبصر ، وكأن المرأى غير سار . أنفاس أمها لاهثة ، مشحونة بفحيح النقرة ، تهرز منها البدن حتى يكاد ينفجر ، وتتمرد روحها وقد تقمصها شيطان . كانت تصغى وهى طفلة الى همس الصبيان بما يسمر به الكبار ما يمس حياة حاضنتها ، ولم تكن تحفل كثيرا بذلك . وما إن دب فيها الوعي بما يحدث حتى كانت هذه الهمسات تنزل عليها كالصواعق ، وتحيل السماء الصافية الى سماء غاضبة تطلق حمما تبتغى المحق . وسرت عدوى الفحيح الى أنفاسها . لم تكن تعى الوعي الكامل بالمصير المنتظر ، وهى تصبح هدفا للنفور والحقد الأعمى . لم تحاول الخروج من الدائرة الحمراء ، فهى تجر عبر التيه الأسود ، وكأنما تقاد الى فردوس مفقود . كان الصراع القائم فى الحلبة لا يدفعها للانسحاب ، لأنها لم تكن شاذة عنه ، بل عبت من ينابيعه عبر سنوات الطفولة والصبي ، وهى الآن فى قمة معاناتها به ، تنتظر بتزكية من كامل حواسها وجوارحها الطوفان الأكبر .

سقطت أم حليلة أرضا ، وشهقت الموت . كان المشيعون قلة ، صعقت البنت لجحوظ الموت ، أغمي عليها ، وعندما استيقظت انتفضت كالمجنونة وانطلقت صوب جثة الأم تهتز وتتلوى . تهدل شعرها على كتفيها ، وبحركة

منها غشي ملامح وجهها الصارخة ذعرا ، ثم خرقت حجاب الصمت بصرخة دوى لها المكان ، وصاحبت ذلك بقفز وبتلويح يديها فى كل الاتجاهات مبرزة أطراف كالمخالب فى تحفز الفتك ، وكشرت عن أسنان حادة تبتغى النهش ، وتدور حول نفسها عديد المرات ثم تسقط أرضا ، وتستقر على عجزها وتحرك رأسها بعنف فى كل الاتجاهات فى إيقاع الاختناق ، ويضفى الشعر المتهدل على الحركة قتامة السواد ، ورهبة المشهد ، وتنتفض من جديد منتصبية ثم تسرع فى فوضى كبيرة هنا وهناك وقد مدت يدين فى محاكاة الوطواط الطائر فى سواد ليل بهيم ، كانت ترقص الموت .

ظهور حليلة مواعده مناحة ، لم يكن يعرف من أين تخرج ، رغم الاحتياطات المقامة للحيلولة دون حضورها ، تضيف مزيدا من اللوعة ، وتضخم الاحساس بالحطب برقصة الموت التى عرفت أسرارها كما عرفت أسرار رقص الطرب . الرقص تعبيرى يجسد الحدث والمناخ المميز .

انشغل السامرون من جديد برقصة المآثم التى أضنت الجميع . فرضت رقصها فى الأفراح وكذلك فعلت فى المناجات ، وكأنها بذرة من بذور الاقدار ، بعثت لمن حجبوا الحقيقة . انشق السامرون الى فريقين ، ادعى شق أن حليلة ابنة سفاح أو ابنة شيطان من الجن ، وها هى بذرة الاثم تهيم بالغوص فى بحيرة الجن . أما الشق الثانى فلم ير فيها غير ضحية من ضحايا الاتهامات والشكوك بغير برهان ، وإن الاقدار لتصب جام غضبها على القرية عن طريقها هى . قالت العجوز تبر بصراحتها وتهكمها المعهودين وهى تشير الى زوجات أبنائها :

– امتنعن عن أزواجهن والا ولدتن ألف حليلة ، فرجالكن لن تهدأ لهم شهوة ما دامت ابنة الشيطان حية حتى ولو كانت « باصة العقل » .

كانت ليلة من ليالى الصيف المقمرة ، حين تعالى الصراخ والزعيق من كل مكان :

– الحريق !! الحريق !! الحريق !!

- النار تاكل المحصول !!

- البيدر يشتعل !!

كان المشهد رهيبا ، النار تلتهم المحصول من كل جانب . السعير الملتهب يسمع له حفيف الحيات وحمرة مهيبة أحالت المحيط الى بقعة من الدم ضخمة . كانت البنت حليلة ترقص بأعلى كومة من البيدر وقد لفها دخان وشرر . الرقص تعبيري مصحوب بمعاناة الاحتراق البطيء . بهتت معالمها وهى تتخبط بين حمرة وسواد ، وانبعثت فجأة من اللهب صرخة دوى لها المكان ، وارتشت لها فرائص الحاضرين الذين لم يحركوا ساكنا أمام اشتداد الحريق . الصراخ بخرق المسامع والأفئدة فيخرس فيها المبادرة ويسومها الويل والشبور .

انقطع الصراخ ، وخمدت النيران إلا من أدخنة ورائحة احتراق جسد آدمى ، قالت العجوز تبر وهى تشير بعصاها السوداء نحو الدخان المتصاعد :

- عادت حليلة الى حالتها القديمة ...

قال أحد الشيوخ : <http://Archivebeta.Sakhril.com>

- اتقي الله يا عجوز ، أشعلت النار وصرخت الدخان ... الدخان لم تقو لهامات على مغادرة البيدر وقد فقدت الادراك كل الادراك والاحساس كل لاحساس .

الناصر التومي

- تونس -

مولد الابطال في القصة والرواية

ليس ثمة ظاهرة طبيعية أكثر وضوحاً وعلمانية من ظاهرة الميلاد ، الميلاد بمعنى الخلق من العدم عند توفر الاسباب وتواجد المعطيات الفاعلة في الارضية القابلة ، حيث تتجاذب المؤثرات فتشاء قوانين الاخصاب أنه كلما كانت الاسباب تكون النتائج . ولا يشذ عن هذه القاعدة الا ما كان لقوى الغيب دخل فيه فتحيطه بالاسرار وتظهره في قالب المعجزة .

نتيجة لهذا الناموس الطبيعي طفحت الدنيا بالمواليد بحيث تلاقحت النباتات وتزينت الطبيعة بمختلف الافانين والاعاجيب وباللامعديود من الاشكال والالوان فتوافر فوق سطح الارض خليط غريب من الازهار والاعشاب فاذا كل نبتة عالم يعج بالالون ويعبق بالعبير ويتألق بالورود والرياحين ، وتوالدت دنيا الحيوان فاذا المواليد خلائق عجيبة متباينة الاشكال والطباع والغرائز فاذا كل بهيمة من بهائم الانعام مظهر معجز صوغته العناية الالهية ليكون للانسان فيه اليد الفاعلة ، لكن ارادة الانسان لم تقف عند حدود الاعجاب بالموجود من هذه المواليد بل طوعت نفسه الى خوض غمار الاسهام مع الطبيعة في الميلاد فأجرى التجارب على النباتات وهيا لها المناخ المناسب فكانت المشاتل وفنون البستنة فكان للزهرة والثمرة والفاكهة ما اراده لها الانسان بالعلم من شكل ولون ورائحة وطعم ، ثم خطا خطوة ثانية في البحث فخاض غمار التهجين باللقاح بين الخلايا الحيوانية من فصائل مختلفة تجمع بينها أرومة المحتدى والمنبت فانضافت الى المؤلف من الحيوان كائنات جديدة مهيجنة تحمل خصائص ومميزات أطراف التلاقح .

وأخيراً كان التوالد الانساني حيث ولد الانسان هذا المخلوق العجيب الذي امتاز فكان العاقل الضاحك الضارب في مناكب الارض الخالق للمعجزات الممزق لحجب الفضاء ، الغائص في الاعماق الباعث للخوارق والاعاجيب منه انشقت عبر الزمان وفوق المكان ما يرى اليوم من مظاهر الابداع والخلق في شتى حقول المعرفة الانسانية فلا عجب بعد ذلك ان يكون الانسان أعجب هذه

المواليد واكثرها عمقا فى الزمكانية فلم يفتح من مغالقه بعد الا الشئ اليسير الهين الذى لا يتعدى نقطة البداية فى المسيرة نحو المعرفة الكاملة للانسان فى تركيبه وابعاده وتنوع أمزجته وقدراته وأفاعيله .

فاذا ما ادرك الانسان بأنه فى منتهى الدقة فى التركيب فهل تراه يرتقى الى آفاق تتجاوز معرفته لذاته الى ما فوقها من الاسهام فى عملية التوليد ؟ التوليد الذهني للابطال والاشخاص فى دنيا القصة والرواية ؟ فيرسم لها المسار ويمنحها مناهج التفكير ويعطيها القدرة على السلوك والحركة ويهبها المنطق والتفاعل الحى مع ما فى البيئة المعيشة من أطراف يكون لكل منها رد فعلها المناسب ، فتتجذب حيناً وتتنافر أحياناً ، بحيث تنفعل وتحس وتحب وتكره وتشقى وتسعد . ان هذا لعمري نوع من الخلق عجيب ؟ صاغه الانسان من ذهنه فأعطى به الاشياء والكائنات اسماءها وخصائصها وأوحى لها اسرارها ورسوم لها مدارها تتحرك فيه بالقدر الذى يسمح لها بالتفاعل والانسجام .

اذ ظاهرة الولادة اذا كانت لا تتعدى اطلاق الاسم على المسمى بعد عملية اجهاض فكرى ليولد الشخص فى الرواية معتموها أبتى أعزل مجردا من كل فعالية عملية سهلة ميسورة فى متناول كل راغب فيها ، أما أن تكون الولادة طبيعية ناضجة قد اكتملت عدة البناء والنشوء بحيث يخلق مع الشخص المولد فى الرواية أفعاله وأحاسيسه وردود فعله وقدرته على المعاشرة مع ما حوله فى النسيج الروائى فأتصوره عملا فى منتهى الخلق والابداع والصعوبة لانه من نوع العمل الملهم الصعب لا أظن الشخص العادى قادرا عليه لان دون ذلك شعور مرهف وحاسة سادسة وضناء لا يملكه الرجل العادى .

فكيف يكون - إذن - ميلاد الابطال فى العمل الروائى؟ وما هى مراحل اللقاح والاختصار والاختصار والضرورة للوصول بالكائن المحدث الى مرحلة النضج والعطاء ؟ وما هى العوامل التى تساعد مجتمعة او متفرقة على البعث الفنى الموفق فى البنية القصصية ؟

أهى عوامل ما وراثية فجرتها فى الانسان شياطين الالهام والعبقرية ؟ أم هى وليدة صنع الآلهة المنتجة فى دنيا الميثولوجيا اليونانية التى تقر بأن وراء كل ظاهرة ابداع إلاها خاصا بها يرعى نموها ويفجر ولادتها ؟ أم انها فى النهاية ثمار معايشرة طويلة للأحداث ومسيرة أطول لما يعج به المجتمع من

مشاكل فلا يكون الوصول اليها الا بعد اجهاد فكرى ومخاض تفاعلى موجب بين الانسان ومحيطه ؟

لقد كشفت التجربة القصصية أن «البذرة المشكل» تلقى فى ذهن الروائى فيتفاعل معها وينجذب اليها فيوليهها من اهتمامه حيزا ويدعها تختمر فى اللاشعور دهرًا قد يطول وقد يقصر بقدر ما فى «البذرة المشكل» من شحنات التفاعل والانفجار ، بحيث تمهل ولا تهمل حينًا وتلج وتبالغ فى الالاحاح أحيانًا بحيث تضغط على الروائى فلا تنفك ضاغطة حتى ترى النور وتتحرك فى الاجواء وتؤدى دورها كاملا ، ساعتها فقط يعيش الانسان المحمل بالافكار معاناة المخاض وعسر الولادة وانفصاح الذات المولدة عن «الذات الوالدة» ، فتولد الشخصية الروائية التى كان الانسان الروائى لحمتها وسداها من أعصابه نسجت شراينه ومن ذهنه صيغت أفكاره ومن دمه كان له اللون والنبض ومن عنائه وحيرته وتأملاته كان له المنطلق والسبيل ومن سهره وسهاده كان له الاطمئنان والراحة ومن ضياعه فى متاهات التأمل كان له المسار الواضح والدرب الثابت فولد واقفا وانبرى فارسا وطوى المراحل العقلية والزمانية وولج المحيط من بابه الواسع ليعيش ما فى المجتمع الكبير من تاريخ وما فى النسيج الروائى من مشاكل وأرهاصات وعائش عن قرب نماذج بشرية فى رصيد كل منها من التجربة والمشاكل رقم كبير فخالط المعذبين فى الارض وضحايا الساعين الى المجد بلا قوم فشاركهم آلامهم وعاش مع المصلحين والسياسة والرواد فانجذب اليهم وتأثر بأعمالهم فخبّر ما فى هذا المحيط من قيم ومبادئ وما يتواجد فيه صباح مساء من مآسى وأفراح وما تقع عليه العين من مشاهد البؤس والحرمان وما تسر له النفس وتنتعش به القلوب وتنشرح له الصدور من مظاهر الترف والسعة والفيه وراء زينة الحياة واللهث خلف ملاذها .

من هذا النبع الفياض بالمشاكل ، الغنى بالقضايا ، الممتلىء بالمشاعر والاحاسيس ومن هذا الكم المتراكم من المشاغل صيغت البذور الاولى لهذه الكائنات المتحركة فى الاطار الفنى للرواية فوجدت فيه المناخ المناسب لنموها فثبتت وترعرعت واشتد عودها واستولى منها التفكير واستقامت منها الشخصية فغدت متميزة فى ملامحها متكاملة فى تكوينها .

كيف تم هذا التفاعل الخصب وكم دام هذا الانتظار حتى استوت هذه الكائنات الروائية ونزلت الى دنيا القصة لتلفت اليها الانظار وتشد اليها الانتباه ؟ وتصبح بالتالى مسؤولة عن تصرفاتها وافكارها ومواقفها ، وقناة بها يتنفس الروائى انفاس الراحة من أفكار كانت تلج عليه مثقلة كيانه قاصمة ظهره لترى الحياة .

لقد دلت التجربة الروائية على ان النواة الاولى لعملية الميلاد الفنى للشخص والذوات تكون فى الغالب نتيجة تماس بين مشاعر واحاسيس الروائى وبين المشاكل التى تضىء فى حياته العادية فيودعها بعيد التفاعل الحينى معها فى ذهنه لتختمر فى خبايا الاشعور ريشما يهيم لها الاطار الفنى لابرازها فى القلب المناسب فيختار لها من الابطال والمواضيع ما يمكن له ان يكون مؤثرا فاعلا ومصلحا بناء . وهكذا تتراكم القضايا فيضيق بها مجال الاشعور فتتصارع وتلج فى الظهور الخاخا وتصر اصرارا فلا تهدأ حتى تبرز للوجود فى اطار ما يجمع بينها من تقارب ووحدانية فى الموضوع والهدف تتناغم فى انسجام وتتقارب فى ائتلاف فتتضح امامها المسارات وتجمع بينها العقدة وتسلسل الاحداث مبقية فى الخفاء بعض ما يجب أن يكون للقارى فيه حق مصان به تكون لذة الاكتشاف وسر المتابعة واقتسام غناء الاجهاد الفكرى اذ من حق القارى على الروائى ان لا يكشف له كل العقد فيقتل فيه لذة المبادرة الى المساهمة فى اللمسات الاخيرة التى من حقه ان يسهم بها فى بناء الشخصية الفنية لهذا البطل أو ذاك . ويكون أحيانا العسر فلا تتم الولادة الا تحت ضغوط قوية تنزل أثقالها فلا يطيق معها الروائى صبرا فتخرج القصة فى أغلب الاحيان كما تشاء هذه الضغوط النفسية والمواقف الانفعالية التى تحيط بالمؤلف لا كما يشاء هو ويريد .

وبعد ان تكتمل الرؤية الواضحة لابعاد القصة تأتى مرحلة التفكير فى الشخصيات القادرة على تبليغ هذه المفاهيم وتجسيم هذه الافكار وقبل انزالهم الى دنيا السطور يمرون بعملية سبر مضنية اذ يختار لها الدور الملائم ويهيء لها الظرف المناسب ، وتحمل العرض المقصود وتمنح الاسماء اللازمة ، الملائمة ، مع الحرص على تواجد ما تتطلبه الاسماء من تناغم وتجاوب وانجذاب مع طبيعة الموضوع ونوعية المشاكل وبيئة الاحداث ومستوى تصاعدها واشتباك المواقف فيها ، فلا انسجام مثلا بين الاسم القروى الذى جملته البادية شكلا ومضمونا

ملامحها حتى دل في قلبه وقالبه وكل شيء فيه على أنه من أعماق الريف وبين أحداث ومشاكل الحضر المعقدة الملتوية ، ولا انسجام كذلك بين الاسماء التي حملها التاريخ الكبير والصغير أدوارا معينة متميزة الابعاد والخصائص وبين المواقف التي يحدث عند اجتماعها النشاز والتباعد ، ولا بين الاسماء المنتمية الى وسط معين وبين أحداث تبدأ لتفترق عند الالتقاء بها . فينخدش الذوق عند تركيبه ما لم تتعود الذاكرة تركيب الاسم على غير الارضية الملائمة . لان الحدث التاريخي عندما يقتزن باسم ما يكون مع الايام وجهه المميز فلا يقبل ان نركب عليه الاقنعة ولا ان تغير ملامحه الازياء ولا ان تبدل خصائصه البهرجة ، ذلك أن للاسم ابعاده المؤثرة لخلق الانسجام والتكامل بين ارضية القصة وزمانها من جهة وبين الموضوع والعقدة من جهة ثانية وبذلك تكون ردود الفعل لدى القراء سلبية فتتعدم نتيجة لذلك الروابط التي تنشأ عادة بين طرفي العمل الروائي المنتج والمستهلك المنتج ليشاركة الفكرة ويعيش معه التجربة ويمر معه بالاحداث لان رسالة الروائي كما تتراءى لدى تكمن في الحفاظ على هذه اللحمة المتينة بينه وبين ردود الفعل الصادرة في قرائه نقادا وطالبي انشراح وممتعة .

والراوى بعد ذلك مطالب أيضا باحترام قضية المستويات الذهنية والعمرية والحضارية والثقافية لاشخاص وابطال الرواية فهو مدعو الى ان يرسم لكل شخص أوجده في القصة ملامحه الشخصية المميزة من انفعال وتقبل ومسايرة ومعاكسة اذ يجب ان يضع في حسابه بأن لكل شخص قرر ادخاله في اطار القصة عالما مستقلا بذاته وشعوره وتفكيره واحاسيسه ورغباته وهنا ندرك مدى الصعوبة والمشاق والضغط والارهاصات التي تمر بها عملية الخلق الفني للشخصية في العمل الروائي لانه مطالب للبلوغ بعمله مرحلة الرضا ان يساير في كل شخصية تدرجها الذهني ونموها العمري والمشاكل التي تفرضها البيئة كما يجب عليه ان يراعى في كل منها العواطف والقيم والاهتمامات الفردية ، هذا اذا كان العمل في مستوى شخصين أو ثلاثة أما اذا تعددت الاشخاص فان الصعوبة تزداد والمواقف تتباين فيصبح الاطار القصصي مسرحا لمواقف متعددة لا يجمع بينها في الغالب الا خيط خفى هو بمثابة الرباط المقدس الذي به تظهر قيمة الموضوع ومثانة النسيج وعمق العقدة ومدى الانسجام بين الافراد والاطراف ويكون منطلق هذا الربط الحفى التاثر بواقعه او حدث ما في الحياة اليومية تاثر به الكاتب فتخمر في ذهنه وتكاملت ابعاده في ذاته واتضحت

الغاية المرجوة من إبرازه للعيان فيمر من مرحلة الاختزان الذهني الى دنيا الواقع والاضواء ليصبح بعد ان كان ملكا لصاحبه تراثا مشاعا بين عموم الناس ، وانه بقدر ما تكون فيه الاطراف متناغمة منسجمة تكون قيمة العمل الروائي بارزة والعقدة موضوعية توحى بالحلول وتلهم المواقف الجادة وترسم المسار الصحيح للحيارى والمعدبين وتريهم الطريق الى الامل والخلاص .

وليس هذا أو ذاك من الاشخاص فى الرواية الا امتدادا لذات تتحرك فى دنيا الواقع وتحمل ورائها وفى ذاتها رصيда من المشاكل والاعباء والهموم والمسؤوليات التى تعج بها دنيانا الفسيحة استغلها الروائي واتخذها مطايا للتعبير بواسطتها عن ارائه وأفكاره التى الحت عليه فخرجت للنور تتجول بين الاحداث والوقائع تسير فى الارض وتجمع ما على ظهرها من مشاكل واهتمامات لذلك كان لزاما على الروائي ان يعطى لكل شخص محمل بدور الذهن والذوق والخبرة والشعور الكفيلة بانجاح هذا الدور فيصنع عليه من ذاته وخبرته وتجربته المضنية الشيء الكثير ، فلا عجب بعد ذلك ان تكون ظاهرة التوليد الفنى لاشخاص الرواية عملا فى منتهى البذل والعطاء من الذات اذ به تفتتح البراعم الفنية وتتغذى بما يلزمها من طاقات الخلق الفنى والتعبير الاليحائى ، وليس هذا العطاء بميسور على الدوام تتسع له امكانيات كل الناس فى كل زمان ومكان .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

ان الروائي المحترم لعمله لا يقول بمقولة الطبيعيين « ارحام تدفع وارض تبلع» فيريح نفسه من مسؤولية واتعاب بناء الشخصية وتهذيب سلوكها وتوجيه ارائها بعيد الولادة ! بل تظل مسؤوليته قائمة مرتبطة به يلاحقه النقد والتحليل اينما حل ، فهو مطالب باستيعاب الحوار وحسن ادارته بين الابطال فيجعل كل واحد منهم يشعر بأنه البطل مهما تقزم دوره وتعلق دور الآخرين لان العمل الروائي فى ارتباطه وتكامله كالجسد اذ اشتكى منه عضو تداعى له سائر البدن بالسهر والحمى ، فالبطولة فى العمل الروائي ليست مناسطة بشخص معين وانما هى كل تشترك فيه كل الاشخاص لان غياب اى شخص مهما كان حجم ظهوره صغيرا يؤثر فى تكامل البناء القصصى فيجعله ناقصا مبتورا ، ولا تقف الصعوبة الفنية عند اختيار الشخص المناسب للدور بل تستمر في تصاعد وتشعب لتشمل مراعاة الذات المميزة والملامح المعبرة والاجوبة الحينية التى تناسب المقام ، بل يجب ان تكون هناك تعادلية توزع بين مختلف الاطراف مناسبات الظهور وطرق التفكير ، فيقتضى منه الموقف ان يستمر فى

تقديم المدد اللازم للأشخاص بقدر الحاجة اليه . اذ منه يستمدون الافكار وعليه يعولون في مجابهة المشاكل وبه يتجاوزون الصعوبات ويتخطون العراقيل فعمله صعب اذ يولد من ذاته البطل ويعطيه من تفكيره الغذاء والنور والحركة

قد لا يدرك بعض القراء مدى هذا الفراغ الذي يسببه هذا العطاء التلقائي فهو بمرور الزمن مؤثر لا محالة على قوى الانتاج في المؤلف فهو يذيب مهبته التي يبذلها بسخاء لتنعّم بالمتعة تلتذ بالقراءة وتتابع بشغف تحرك الابطال في الملاحم ، فهي لم تصل اليك جاهزة مستساغة الا بعد ما صب فيها الكاتب عصارة تفكيره وتأملاته وتواجهه الميداني في دنيا المشاكل ، آمل ان تلامس فيك المشاغل وتدغدغ فيك المشاعر والاحاسيس ، ولتعلم أن أى ظاهرة تدخل عليك الارتياح والفرح وان كل موقف يروقك وتهفو الى تبنيه والتعلق به قد دفع الكاتب ثمنه عرقا واجهدا وسهرا ومعاناة ليعبد امامك الدرب ويرصع الافق حواليك قيما ومبادئ بأياها تعلق اهتديت .

فلم تكن ارادة الحياة التي صاغها الشابي من دمه ولحمه ونسخ خيوطها من شرايين قلبه ميسورة متداولة بين الناس تحيي فيهم التعلق بالحرية والكرامة والعزة الا بعد ان اخذت من مهبته وصحته وكيانه وشعوره كل ما عنده ، فكانت ارادة الحياة للجماهير في كل مكان وكان عزوف الحياة من نصيبه هو . . . فاذا لم يكن كل شخص في القصة معبرا عن جانب من جوانب المعاناة التي يعيشها الكاتب فلا معنى له ولا مصداقية لتواجهه لانه لم يعكس المتاعب المعيشة فينعدم حينئذ التجاوب بين الكاتب وأشخاص روايته لانها المسام التي ينتعش بها والدفع الذي يغذى دقات قلبه وبقدر ما يكون الانسجام منهما بقدر ما تمنح للكاتب حياة أطول وتواجدا ميدانيا اكثر استمرارية فهي القنوات التي توصل للجميع ما ترسب في نفس الروائي من ارصدة العطاء وطاقت الاصلاح ومواهب البذل والتضحية ليجد فيها الراغبون العون على حياة أفضل وحتى لا يكون هناك الموت عطشا في شواطئ الظمأ والموت جوعا على موائد الحرمان والموت افلاسا على ابواب المصارف والموت قيما وروحا على عتبات المعابد والهيكل .

احمد التهامي بوطبة

تطاوين : الرقبة : في 12/9/1981

الشيخ

كانت سماء المدينة صافية ، في ذلك الصباح ، وجموع العصافير في كل مكان .

في أعلى نزل « أفريكا » على أشجار الشارع الطويل ، على الرصيف آلاف المارة يتحدثون يقهقهون . يوم الاحد ... يوم عطلة . ومن حق أى انسان أن يشعر بالراحة على الاقل يوما واحدا في آخر كل أسبوع .

في إحدى الحدائق العامة ، في ساحة الباساج ، كانت حلقة صغيرة من الاطفال اقتربت منهم الطفولة البريئة الناعمة كانت تحركهم وتبعث في قلوبهم السعادة حتى الذين لم يتعودوا على المشي كانوا يحركون أقدامهم الصغيرة .

كانت الحديقة الواسعة تعج بالمتفسيحين والحركة تعم كل الأرجاء ، رفعت رأسى ، حدقت في الشيخ الذي يجلس على مقعد خشبي وحيدا ، أشعث الشعر ، متجعد الوجه ، ضيق العينين ، شارد الفكر ، مرتعش اليدين ، على جسمه معطف أسود بال .

كان هذا الشيخ يجلس وحيدا يفكر .. كانت أصوات الاطفال التي تتعالى من الناحية المجاورة . وكانت الزفرات تتأكل في جوفه .

جاء بعض الاطفال يستمتعون باللعب قربه :

- صباح الخير يا جدى ...

- صباحكم جميل يا أبنائى الأعزاء ..

اقتربت منه ، وابتسمت :

- هل تسمح لي بالجلوس حذوك ..؟

- تفضل .. أهلا وسهلا ..

وسرعان ما شدتني رغبة في الحديث إليه ، أخرجت سيجارة ، قدمتها له ،
أخذها شاكرا .

ضجت صيحات الأطفال ، وشرعوا يركلون الكرة ويقذفون بها في الفضاء..
لم يلتفت الى ، بل تابع النظر ..

قال بغتة :

- ما أحلى الطفولة ، إنها أنقى مراحل العصر ...

وضاعت كلماته في أعماقي حين لاحظت دموعين تترقرقان في عينيه .

ARCHIVE

http://Archivebeta.Sakhril.com

قال العجوز متنهدا :

- لقد أصبحت الحياة عبئا على إنسان مسن مثلي ومع ذلك ففكرة الموت
تفزعني ... تهددني في كل لحظة .

أكدت له :

- لا معنى للحياة اذا لم تفكر بالموت .

نالت الاصوات الصغيرة من جديد ، والشيخ تعانق شفتاه السيجارة في
ارتعاش تمتعاتها بعمق والاصوات تتعالى .. تتعالى ثم تتحطم على صدره الهزيل

يعود الشيخ الى حديثه بانفعال :

- هل من المعقول أن تنطفئ حياة الانسان بسرعة ؟

أحسست بقطار الزمن يدوسنى .. يدمرنى ..

— عالمه يجرفنى .. يبعث فى نفسى الخوف .

لو لم يكن شيخا لما جلس وحيدا يمضغ ماضيه .. ولما قضى كامل أيامه فى
الحدائق .

جاء طفل صغير دفعه الفضول البريء الى الاقتراب منا ، نظر الى الشيخ
فأصابته الدهشة .. جمد فى مكانه وكأنه تمثال ...

وفجأة ...

توقفت صيحات الاطفال العابثة ... تملل الشيخ .. ثم أشار الى الطفل
باهتا :
<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

— هل رأيت وجهه المشرق ؟

— لم أر أنقى منه فى حياتى ..

— وهذه الابتسامة البريئة ...

عاد الاطفال الى ضجيجهم وصياحهم .. ألقى الشيخ عليهم نظرة فاحصة ..
ابتسم .. تحرك .. التقط بعض أنفاسه وانتصب ..

— هل رأيت ؟ لقد ملؤوا الدنيا سعادة .

ثم ودعنى وسار فى طريقه ببطء .

- تجمع الاطفال حوله وهو يتابع سيره حاملا معه متاعبه وتوقفوا جميعا أمام الباب الحديدي الضخم يودعونه .. لقد وجدوا صديقا كبيرا .. يحبهم .

عدت بعد أسبوع الى تلك الحديقة ، لقد كنت متلهفا الى رؤيته ، سرت الى مكانه المعتاد فلم أجده سألت عنه الحارس فقال :

- لم يأت منذ الاحد الفارط .

سار قليلا ثم توقف ثانية وقال بصوت تقطعه الحسرة ..

- حتى الاطفال الصغار هجروا الحديقة لفقدانه ...

نظرت حولى ... فاذا السماء متلبدة عابسة .. واذا بى أبحث عن مزيد من النسيان .

علي عزيزي

ARCHIVE

تونس في 7 / 12 / 1981

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

هادية

قالت وهي تنظر الى بعين لائمة : كنت على وشك الاستسلام الى النوم . فما الذى أحرك ؟ أجبت دون أن أنظر اليها : أنسييت موعد المسلسل التلفزيونى ؟ .. إنه اليوم .

قالت وهي تبتسم : هل صرت تتأخر عنى بسبب المسلسلات ... ؟

قلت بسرعة : وهل ينسى الفصن أصله ؟

قالت وهي تقلقل رأسها : صار كل شىء ممكنا فى هذه الايام ...

قلت بحدة : الا نكران الذات ... فهو مستحيل حتى وان ادعيناه لك ...

قالت وهي تبتسم : أراك تجاملنى يا ولدى .

قلت وانا أتفرس فى وجهها : ليس للاغصان فضل فى حمل الثمار ما دامت الجذوع سبب ولادتها . لكن الجذع ، لا يفار من الفصن .

قالت باندفاع .. : وإلى ماذا وصلتكم حتى نغار منكم ... ؟

قلت بلهجة المتفاخر : هذه ديارنا مضاءة بالانوار الكهربائية وهذه أسفارنا على متن الطائرة ... وهذه سهراتنا مع التلفزة ... وهذه ... وهذه ...

قالت وهي تضحك باستهزاء : كل هذا لم تصنعوه أنتم يا ولدى اما نحن فقد مارسنا حياتنا بما أنتجه كد يميننا .

صمتت ... ثم ... سكنت عن الكلام و ...

بعد أن تنحنحت ، تلملت فى مكانها ثم نظرت الى طويلا وقالت : نهضت ذات يوم على صياح حاد يصم الأذان ماذا جرى لابناء قريتى يا ترى ؟ ... إنها أول مرة أستمع الى صياح القرية فى الليل . بل ماذا جرى ؟ ... هل مات أحد أبناء القرية ؟ ... أستغفر الله ... الصياح لم ينقطع فما الذى جرى يا ترى ؟ رحم الله أجدادنا كانوا لا يشعرون بالخوف أبدا . أما الآن ...

قلت بصوت فيه حشرجة : هكذا دوما لا بد بعد المطر من شمس محرقة...
 قالت وهي تضع يدها على ركبتي : شمس الصيف لا تقتل بل تبعث
 الانشراح فى القلوب . فنشعر بالراحة .

قلت بصوتى الذى لم تنقطع عنه الحشرجة : فى الشعور بالراحة احتراقنا
 صمتت طويلا ... طويلا ... ثم قالت :

فتحت الباب فاذا الليل مخيم بظلامه على الوجود . خفت كثيرا . لكننى
 سمعت الصياح فانطلقت أجرى ... أجرى وليس فى مخيلتى الا صورة الحلم
 قلت فى حماس : ماذا حلمت أيضا ...؟

نظرت الى بتمعن ... صمتت ... نظرت الى طويلا حتى ارتعدت فرائص...
 قلت : إنك تخيفيننى بنظراتك ...

قالت بحسرة ... منذ متى صارت تخيفا النظرات ...؟
 صمتت ... ف ... سكون ...

<http://Archivebeta.Sakhrif.com>

قالت بهلجة مستهترة : ربما كان ذلك منذ صار احتراقنا فى شعورنا
 بالراحة . ربما ... ثم ربت على كتفى وصمتت ...

نظرت اليها طويلا ثم قلت : لكنك لم تجيبينى .

قالت : « ... رأيت القمر يهوى من عليائه ليدوس ابنة أختى هادية التى
 كانت تفوق القمر جمالا وحسنا وفى أثناء ذلك كان القمر يقول : ... حياة
 الجميل قد تلهى الناس عن الجمال ... لذلك يحق الاحتراق ... زمن الشعور
 بالراحة ... »

شعرت بألم كبير وأنا أرى ابنة أختى تداس أمامى : لكن سرعان ما شفى
 غليلي أبنا الصغير الذى غاظه ما وقع لأمه فصفع القمر بقبضتى يديه صفة
 أردته قتيلا ... »

استغفر الله ... استغفر الله ... هل يموت القمر ؟

قلت فى تان : ... وهل قتل القمر كفر ؟

قالت بسرعة : استغفر الله ... فكيف يقتل ...؟

قلت بزهو : ألم تشاهدى الجماعة الذين نزلوا على القمر ثم عادوا اليها بالحجارة ...

قالت بغضب : استغفر الله ... إنه كذب وبهتان ... استغفر الله ...

قلت بصوت منخفض : انها حقيقة ... فما القمر الا كوكب مثل الارض تقريبا ...

قالت بحدة : لا اصدق ... فكيف تبعث الحجارة النور ... كفاك تخريفا
صمت قليلا افكر وهى تنظر الى ثم قلت : إن الحجارة لا تبعث النور بل هو نور بعث فى الحجارة .

فهمست الى : لا تصدق ما يدعون ، انهم كاذبون .

قلت وفى حلقى شهقة : ربما فى نور القمر تكمن صلابة الحجر ...

قالت بصوت متقطع : الى م ... تعود ... هذه القطيعة ... بين ...
النور ... والجحيم ...

قالت : عدت الى ذكر أحجار القمر ... تعلم أن لا تدافع الا عن ثمرة عملك ..
وعن تربة ارضك ...

قلت بسرعة : هذا تعصب .

تمت ... ف ... سكون

قالت فى تان : أصار التجذر تعصبا ..؟

صمت ... ف ... سكون

طال الصمت فقلت وأنا أتململ فى مكاني : لقد شوقتنى فما الذى جرى ؟

قالت وقد ذهبت على وجهها حرولت كثيرا وقلبي يرتجف .. ما سبب
هذا الصياح المؤثر على الناس ... وفجأة ... اشتد صدري ... إنه

الطريق المؤدى الى منزل هادية ... غير صحيح ... اللهم اجعل العاقبة خيرا..
إنها لا تستحق سوءا ...

وفجأة تذكرت الحلم ... معاذ الله ... اللهم اجعل العاقبة خيرا... لست
أدرى لماذا شعرت بحزن كبير قبل وصولي لكننى كنت متأكدة من أن الصياح
فى قريتنا لا يطلق الا بسبب حزن ...

ووصلت منزل هادية • غير صحيح ... كل سكان القرية موجودون هنا فما
الذى جرى يا ترى ؟ ولم هذا الوجوم ؟ لا بد أن الامر يستدعى التأول
كثيرا ... ماذا جرى يا ترى ؟..

ودخلت بين الحشد أبعد هذا ... وأطلب من الآخر الافساح لى حتى
وصلت ...

وقفت مشدوهة أمام ما رأيت !! غير صحيح . صياح طفل مقترون بدهشة
أم ونوم أب على التراب . ما الذى جرى ؟ ولماذا يبكي سليم ؟...
لم أستطع السكوت أكثر فقلت بحدة : لم هذا الوجوم ؟
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

عندها تفتن سليم الى وجودى فارتمى فى أحضانى يشبعنى تقبيلًا • وهو
يشهق من شدة البكاء •

قلت بانفعال كبير : ما الذى يبكيك يا ولدى ؟...

قال ببرودة : ... قتلت أبى ببندقيته!

فأطلقت صيحة قوية ... وصيحة ... و ... وصحت فى كل الحاضرين :

لم هذا الوجوم ... لماذا ؟... لماذا ؟...

عندها انطلقت زغردات الرجال .. غير صحيح .. لماذا يزغردون أمام
الميت ؟ إنها أول مرة أسمع فيها ذلك ؟... موت مع زغردة ؟؟؟!!

قلت والدهشة تغمرنى : حتى أنا لم أعد أفهم ما تقولين ... طفل قتل
أباه ... رجال يزغردون ... أم صامتة ... فرحة بعد موت ... فهل أنت
تسردين على ما حلمت . أم ما تتمنين ؟...

صمت .. ف .. سكون .. ف .. ابتسام ..

قلت بلهفة : لماذا سكت عن الكلام ...

قالت فى تأن : لأننى حين حاولت الكلام ... لم أستطع التعبير عما أريد ...
قلت بزهو : إننى بجانبك . فكلما احتجت الى كلام ستجديننى معينا لك
على إيجاده ...

قالت بصوت منخفض : وتحملت المجاملة أيضا ...

قلت وأنا أبتسم : إننى أقول ذلك صادقا . وأستغفرت لأننى كذبت ...
ثم قلت : وماذا وقع بعد الزغردة ؟
نظرت الى تتذكر . حتى تغيرت ملامح وجهها ...

فقالت : بعد طلوع الصباح تراكمت السحب . ووقف كل أبناء القرية أمام
منزل هادية صامتين حتى أعياهم الوقوف فالتكأوا على الحائط . بدأ المطر رذاذا
فلم يختبئ أحد . وبقي كل واحد فى مكانه حتى عندما اشتدت غزارة الامطار .
وفى نفس الوقت لم تحمل الجثة من مكانها فقد شغل الجميع بما كانت
تقوم به هادية .

كان الفصل صيفا حين قتل سليم أباه بالبندقية . وكان الجميع يتأوهون
من شدة الحرارة . وقفت هادية قرب جثة زوجها وهى تنظر الى ابنها سليم وإلى
دماء زوجها المختلطة بتراب الارض . حتى صار لون التراب دما فرفعت رأسها
الى السماء طالبة من خالقها أن يسقى هذا التراب العطشان بوابل من المطر
عسى أن يتطهر من هذه الدماء التى سقته فغيرت لونه ورائحته .

... ووقع ما وقع ...

خاف الجميع كثيرا وأنا معهم ... وعشقوا هادية أكثر ... انها جميلة جدا
ورائعة فيما تفعل ... لو كانت اسبانية لبكت كثيرا على زوجها ولانبت ابنها
على جريمته ... لكنها كانت أروع من ذلك وأجمل ... لا تعجب فبنات قريتنا
أجمل من الاسبانيات بل وحتى الايطاليات ...

ثم نظرت الى فوجدتني أحرق في الفضاء ...
 قالت وهي تجذبني من يدي : ... فيم تفكر ؟
 قلت بسرعة : أبحث عن سبب قياس هادية بالاسبابيات .

صمت .. ف .. سكون .. ف .. ابتسام .. ف .. إحناء رأس ..

قالت في تأن : بعد أن نزلت الامطار بغزارة زغرد كل الحاضرين بقوة ..
 إنه أنتصار .. بورك فيك يا هادية ... يا أروع ما في البشر ... زغرد
 الحاضرو أكثر فنزلت من عين هادية اليمنى نحلة ومن عينها اليسرى وردة ..
 غير صحيح ! هادية !! هادية !!

صمتت فنظرت اليها ...

قالت وهي تبتسم : ناديت هادية فحضر الشاي ... هيا اشرب .

أجبت بحدة : كرهت الشاي ... هيا بالله عليك أكمل ...

قالت والابتسامة لم تفارق وجهها : ان كنت كنت كرهته فأنا لم اكرهه .
 وصمتت وهي تشرب الشاي بتؤدة ... والابتسامة لم تفارق شفيتها ... حتى
 أفرغت ما في الكأس .

فقالت : والآن أكمل الحكاية . بعد نزول النحلة والوردة صمت الحاضرون
 وقلوبهم ترتجف . غير معقول ! هل نحن في حلم أمر يقظة ؟ ماذا نرى ..؟
 أتراها تعلمت السحر ؟ لا ... هادية طيبة وتحبنا أكثر مما نحبها . اذن ما
 الذي نرى ...؟

تقدم سليم رويدا .. رويدا حتى وصل الى أمه . عندها مال على الوردية
 يقبلها بحرارة . فصمتت الام ... عند ذلك طارت دهشة الحاضرين : فتحركوا .

قال أول بصوت عال : احفظوا الجثة فللميت حرمة لا بد من اعتبارها .

اعترض ثان قائلا : علينا أن نغسله أولا ...

قال ثالث في اندفاع وهو يميل على الجثة يحاول حملها :

دعوا الكلام جانبا . وشاركوا فى العمل . وانطلق الجميع فى اندفاع كبير ... غسلوا الجثة ... وضعوها فى كفن ... وهادية صامتة فى مكانها . وبجانباها سليم يقبل بين الحين والآخر الوردة . وكأنها كانت سلواه أمام ما يجرى أمامه . والنحلة تحوم حول رأسه .. رائع ... نحلة فوق رأس طفل يقبل وردة ...

قاطعتها قائلا : وأنت ماذا كنت تفعلين ؟

أجابت قائلة : وقد ارتسمت على وجهها علامات الصبر والرصانة لتدل على كبر الثقة وعمق التجربة فى الحياة : إنى غصن من شجرة . لذلك لا يمكن لى أن أنفرد بفعل شىء . اندهشت كثيرا مما رأيت فجلست فى أحد زوايا المنزل أفكر وأنا أنظر الى هادية وهى صامتة والى سليم وهو يقبل الوردة والنحلة فوق رأسه . والى الجثة وهى مغطاة بدثار أبيض . هذا الذى كانت شفتاه لا تستطيعان مفارقة عصر العنب والشعير ويدها اللتان لم تفارقا فأسه التى سخرها لتطيب شجر الزيتون ... سبحان الله !! سبحان الله !!

فى المساء وإثر صلاة العصر تجمع الناس من جديد أمام منزل هادية . دخل جمع من الرجال بالنعش وحاولوا وضع الجثة عليه ليرفعوه . فحسروا عليهم ذلك ... اندهشوا للامر . غير صحيح . حاولوا ثانية ففشلوا . حاولوا ... حاولوا ... نادوا من بالخارج فأعانوهم ... أيضا فشلوا ... حاولوا بكل الطرق حتى سمعوا زغرودة من هادية فدب فيهم اليأس .

ربما سعدت روحه طاهرة وبقيت أوزاره على هذا النعش فلم يستطيعوا حمله لكن ما الحال وهذه هادية تزغرد فى حضرة جثة زوجها وهو على النعش فما الذى يجرى ؟ الارض عطشى والمطر ينهمر والجثة لا تقوى على حملها . لماذا ؟ ...

قال قائل : عوض أن نفكر فى معنى ما يحدث : علينا أن نفكر فى حل ما نحن فيه .

قال ثان : نجزيء الجثة حتى يسهل حملها .

قال آخر : بل علينا أن ننصهر فى جسد واحد حتى يسهل علينا حمله .

قال ثالث : كل هذه الحلول تستدعى الانتظار لكن ما رأيكم فى أن يصبح هذا المنزل مقبرة البلدة . ويكون هذا أول دفين . أما هادية فعليها أن تختار من قلوبنا بيتا . فماذا تقولون ؟

قالوا فى صوت واحد : نعم الرأى ... نعم الرأى ...

عندها قالت هادية بصوت مرتفع : بل قولوا : أقرب السبل ... صمت الحاضرون ... صمتوا وهم يشعرون بالحزى . انها تعلمهم بالصمت ...

وأمام صمت الحاضرين قالت هادية : انها أوزاره وضعت على عاتقكم فاعرفوا كيف تتخلصون منها . أما أنا فهذا هو بيتى مهما يكن حالكم . وأعلموا أنكم مهما حاولتم لا تستطيعون فصل الجثة عن الارض التى شربت دمها ، لان الدم أقوى ما يشدنا الى الارض .

بعد صمت طويل ، وتفكير أطول منه قرروا دفن الجثة فى مكانها فأغلقوا عليه باب الغرفة وخرجوا .
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

قبل أن يصلوا الباب نظرت اليهم هادية طويلا . ثم زغردت زغرودة بعثت النشوة فى كل من حضروا ثم أحسوا بخزى كبير ... فخرجوا يجرون أرجلهم جرا .

بقيت هادية فى مكانها وسليم الى جانبها يقبل الورد حتى كبرت . عندها امتصت النحلة رحيق الورد وصنعت عسلا صافيا ... فشرب منه سليم حتى شبع . فى تلك اللحظة قبلت أمه جبينه بحرارة فم مسكته من يده وقدمت له فأس أبيه ثم قالت له وهى تنظر الى قبر أبيه :

عليك بغرس الورد يا ولدى حتى يطعمك النحل العسل .

يوسف عبد العاطى

تونس فى : 27 / 3 / 1982

اللعبة المحترقة

لم تكن شمعة ككل الشموع . فكل ما فيها يميزها عن غيرها . صنعتها يد خلاقة ذواقة قادرة ، من خير رحيق وأصفى مادة ، ووضعها أنبل النحل في أحسن جبع ؛ فهي لطيفة الشكل ، جميلة اللون ، حسنة المظهر ، تكاد تكون شفافة يعبر كل من رآها الى أعماق أعماقها في لمحة واحدة . فصفاؤها الظاهر مثل صفائها الباطن وما في داخلها من نعمة ورقة لا يقل في شيء عما في ظاهرها . فهي مثال الكمال أو تكاد وهي أصدق نموذج لما يجب ان تكون عليه الشمعة الحقة .

وبرزت بكل خصائصها ومحاسنها تلك فاستجلبت اليها الانظار واستقطبت مختلف المشاعر والاهواء . حسدتها الفائرات من الشموع ، وغبطتها الصديقات منهن ، ودمها من لم يقدر على اقتنائها ، ومدحها من ظن أنها على ملمس من يده رهينة بعض ما في جيبه .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

غير ان شيئاً في تلك الشمعة حال دون خروجها من الصندوق الذي وضعت فيه ولا من نافذة العرض التي احتلت فيها مكاناً بارزاً بعد ذلك ، لتجلب الانظار وتسترعى الهمم . بقيت طويلاً بين ظلمة ونور . ظلمة الجمود وعدم الخروج من حيث هي ، ونور كل الانظار المعجبة التي لم تنفك عن معانقتها عن بعد ، تحت أشعة نافذة العرض حيث استقر بها المقام .

وتساءل الكثيرون ممن رأوها مرات ومرات ، كما تساءل صاحبها أكثر من مرة عن سبب بقائها جامدة هناك بينما الكثيرات من الشموع التي تقل عنها طينة وحسناً قد أخذت طريقها المنشود ودخلت بيتاً أو قلعة أو قصراً لتنير الأرجاء وتهدى السبيل .

وتساءلت الشمعة نفسها عن سر جمودها وقعودها وأسباب شللها وعدم نجاحها في الخروج من ذلك القفص وشق طريقها الى حيث يهديها المصير

وحيث يمكنها أن تكون أكثر من قطعة جميلة جامدة تملأ ركننا محدودا في مكان معين .

تساءلت وكثر تساؤلها دون أن تجد لاسئلتها جوابا . فعادت الى نفسها تسبر غورها وتبحث في اعماقها علها تجد هناك وفي خباياها سببا محجوبا ، أو سرا مدفونا .

بحثت طويلا دون جدوى وحللت كثيرا فلم يسعفها التحليل وبقي وضعها الغامض لها لغزا ولصاحبها حملا ، بيد أن بقاءها في شبه الظلمة تلك لم يكن يصعب فهمه ولا ادراكه . فأى عين باصرة ثاقبة الا ويسهل عليها معرفة الداعى وفهم السبب . فكل قعودها مرجعه الى شئ في خباياها ، الى عنصر من عناصر ذاتها ، يكمن في الاعماق ويطلع المظهر بطابعه الخفى فيفعل مفعوله السلبي في كل من يراها . ولم يكن ذلك العامل او العنصر السلبي في نظر الجميع سوى تلك الفتيلة التي التف حولها كل هيكل الشمعة وصب عليها قدها وقوامها .

كان الكل يتأثر دون وعى أو شعور بتلك الفتيلة ناسيا أو جاهلا أنها قلب الشمعة النابض وروحها الخفاق الذي لولاه ما اشتعلت ولا أنارت .

نسى الجميع أو جهلوا أن للشمعة شخصية وذاتية وأن لتلك الشخصية مقوماتها ولتلك الذاتية مظاهرها ولكليهما تفاعلات وانفعالات . وما ذلك يبدو لهم سوى مظهر من تلك المظاهر ونتيجة لبعض تلك التفاعلات ، وأن ذلك الذي يشدها الى حيث هي وذلك الحائل دون اثنى انطلاقتها الى آفاق وعوالم أخرى ليس سوى عنصر من عناصر تكوينها ومادة من مواد شخصيتها ، ولد معها بعضه ونشأ فيها مع الايام البعض الآخر .

قعدت الشمعة حيث هي الى أن جاء يوم . جاء يوم أراد فيه بعضهم أن يحتفل . وكان من عادة الناس اذا احتفلوا ، أن يوقدوا الشموع ويحرقوا البخور ويملاؤا الكؤوس . فعهد الى كل واحد باقتناء بعض ما يلزم . وعاد الذي عهد اليه بشراء الشموع حاملا تلك الشمعة زاهيا بحسنها مباهايا بصفاء طينتها .

ابتهج الجميع بالشمعة وفرحوا بها ثم انهمكوا فى اعداد المائدة التى ستزدان بها وتنار . وفى الحين وضعت وازدانت بأطباقها الماعة وكؤوسها الشفافة وملاعقها وسكاكينها وشوكاتها الفضية البراقة ومناديلها المطرزة الملونة .

ثم جىء بالزهور الياينة وبصحون المآكل اللذيذة المتنوعة وأطباق الحلوى والمرطبات الشهية العذبة المختلفة .

وتوسطت الشمعة تلك المائدة الفاخرة فازدادت بها حسنا وبهاء . غير أن الشمعة فى نظرهم لا تضىء جمالا ولا روعة الا اذا أشعلت واحترقت فانارت . فأشعلوها واعطتهم من احتراقها نورا ومن ذوبانها اضاءة . أكلوا تحت أشعتها وضحكوا ثم رقصوا وصخبوا .

كانوا يلعبون ويمرحون بينما الشمعة تذوب تفنى وكل ما فيها يحترق ويتبخر أو يسيل على جوانبها قطرات دسمة ساخنة كدموع فوق خد يانع أسيل .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

واستمر اللهو وتواصل الصخب والجميع فى شغل عن الشمعة ، همهم منها أشعتها الوضاءة ونورها الهادى الجميل . وطال الليل الى أن فنت الشمعة ولم يبق منها سوى قطعة جوفاء لا شكل لها ولا صورة ، بقية مشوهة فارغة قبيحة لا تسر النظر ولا تفيد . فتقدم منها آثم عريبد ومد نحوها يدا ساخرة فاطفا ما تبقى فى فتيلتها من اشتعال ورمائها بعيدا حيث ترمى القادورات فهى لم تعد الآن سوى فضلة احدى الفضلات لحفلهم وبقية من بقايا متممات زهوهم ومجونهم .

محمد عبد الكافى

الفهرس

العدد الثالث (جويلية 1982) المجلد الرابع عشر

| | | |
|-----|------------------------|---------------------------------------|
| 3 | قصص | تصدير |
| 5 | نافلة ذهب | تفوص المدينة |
| 10 | تعريب: أبو بكر العيادي | لحن جماعي |
| 16 | محمد الباردى | السجن والسجان |
| 23 | محمد الخموسى الحناشى | الوسام |
| 26 | يوسف سلامة | هوامش أخرى حول سيرة السيدة العلوية .. |
| 32 | تعريب: أحمد ممو | الكلب الذى شاهد الرب |
| 65 | حياة بن الشيخ | الجدار والافق |
| 73 | الناصر التومى | راقصة الماتم |
| 82 | أحمد التهامى بوطبة | مولد الابطال فى القصة والرواية |
| 89 | علي عزيزى | الشيخ |
| 93 | يوسف عبد العاطفى | هادية |
| 101 | محمد عبد الكافى | اللعبة المحترقة |

انتهى طبع هذه المجلة بمطبعة « الشركة التونسية لفنون الرسم »

فى شهر جويلية 1982 - تحت عدد 82/675

الايداع القانونى - الثلاثة الأشهر الثالثة - ل : 1982